

# نظريّة النصّ

على الإمامة في القرآن الكريم

الشيخ محسن الأراكي

**اسم الكتاب:** نظرية النصّ على الإمامة في القرآن الكريم

**الموضوع:** كلام وعقائد

**المؤلف:** الشيخ محسن الآراكي

**الناشر:** المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

**الطبعة:** الثانية، منقحة

**المطبعة:** اعتماد

**الكمية:** ٣٠٠٠

**تاريخ النشر:** ١٤٢٨ هـ .

**شابك:** ISBN 978-964-529-248-3

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

[www.ahl-ul-bayt.org](http://www.ahl-ul-bayt.org)

## كلمة المجمع

إنّ تراث أهل البيت(عليهم السلام) الذي اختزنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعبر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربي النفوس المستعدة للاغتراف من هذا المعين، وتقدّم للأمة الإسلامية كبار العلماء المحتزين لخُطى أهل البيت(عليهم السلام) الرسالية، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام) - منطلقاً من مسؤولياته التي أخذها على عاتقه - للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها التي ضبّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى أهل البيت(عليهم السلام) وأتباع مدرستهم الرشيدة التي حرصت في الرد على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام في خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب في كلّ عصر.

إنّ التجارب التي تختزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) في هذا المضمار فريدة في نوعها ; لأنّها ذات رصيد علمي يحتكم إلى العقل والبرهان ويتجنّب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة.

وقد حاول المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام) أن يقدم لطلاب الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنيّة من خلال مجموعة من البحوث والمؤلفات التي يقوم بتصنيفها مؤلفون معاصرون من المنتمين لمدرسة أهل البيت(عليهم السلام) ، أو من الذين أنعم الله عليهم بشرف الالتحاق بهذه المدرسة العظيمة، فضلاً عن قيام المجمع بنشر وتحقيق ما يتوخى فيه الفائدة من مؤلفات علماء مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) لتكون هذه المؤلفات منهلًا عذباً للنفوس الطالبة للحق، لتنتفع على الحقائق التي تقدّمها مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) الرسالية للعالم أجمع، في عصر تتكامل فيه العقول وتتواصل النفوس والأرواح بشكل سريع وفريد.

وهذا الكتاب الذي نقدّمه للقارئ الكريم هو حصيلة أربع محاضرات ألقاها سماحة المؤلف ثم دوّنها تحت عنوان: «نظرية النصّ على الإمامة في القرآن الكريم».

ونحن إذ نتقدم بالشكر الجزيل لسماحة آية الله الشيخ محسن الأراكي على إنجازهِ هذا الأثر القيم، ولكلّ الذين ساهموا في تدقيقه وإخراجه، نرجو أن نكون قد قمنا ببعض ما علينا من الواجب تجاه رسالة ربّنا العظيم الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه وكفى بالله شهيداً.

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)  
المعاونية الثقافية

مقدّمة الناشر

## الإمامة في الإسلام

يتحدث الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر (رحمه الله) عن الأهمية الكبرى للإمامة ودورها في الأمة، فيقول: «تعبّر الإمامة عن مرجعيتين: إحداها المرجعية الفكرية والأخرى المرجعية في العمل القيادي والاجتماعي، وكلتا المرجعيتين كانتا تتمثلان في شخص النبي (صلى الله عليه وآله)، وكان لابدّ - على ضوء ما درسنا من ظروف - أن يصمّم الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) الامتداد الصالح له لتحمل كلتا المرجعيتين، لكي تقوم المرجعية الفكرية بملاّ الفراغات التي قد تواجهها ذهنية المسلمين وتقديم المفهوم المناسب ووجهة النظر الإسلامية فيما يستجد من قضايا الفكر والحياة وتفسير كلّ ما يشكل ويغضض من معطيات الكتاب الكريم، الذي يشكل المصدر الأوّل للمرجعية الفكرية في الإسلام، ولكي تقوم المرجعية القيادية الاجتماعية بمواصلة المسيرة وقيادة التجربة الإسلامية في خطّها الاجتماعي»<sup>(١)</sup>.

ويرى الإمام الصدر (رحمه الله): «إنّ الإسلام ليس نظرية بشرية لكي يتحدد فكرياً من خلال الممارسة والتطبيق وتتبلور مفاهيمه عبر التجربة المخلصة وإلّا هو رسالة الله التي حدّدت فيها الأحكام والمفاهيم، وزودت ربانياً بكل التشريعات العامة التي تتطلبها التجربة فلا بدّ لزعامة هذه التجربة من استيعاب للرسالة بحدودها وتفاصيلها، ووعي لأحكامها ومفاهيمها وإلا اضطرت إلى استلهاهم مسبقاتها الذهنية ومرتكزاتها القبلية وأدى ذلك إلى نكسة في مسيرة التجربة وبخاصة إذا لاحظنا أنّ الإسلام كان هو الرسالة الخاتمة من رسالات السماء، التي يجب أن تمتد مع الزمن وتتعدى كلّ الحدود الإقليمية والقومية، الأمر الذي لا يسمح بأن تمارس زعامته التي تشكل الأساس لكل ذلك الإمتداد تجارب الخطأ والصواب، التي تتراكم فيها الأخطاء عبر فترة من الزمن تشكل ثغرة تهدد التجربة بالسقوط والانهيار»<sup>(٢)</sup>.

## الإسلام والإمامة

(١) السيّد محمد باقر الصدر، بحث حول الولاية ص ٥١.

(٢) السيّد محمد باقر الصدر، بحث حول الولاية ص ٣٦.

يتلازم مفهوما الإسلام والإمامة قرآنياً ومنطقياً تلازم النظرية والتطبيق فيقول تعالى: ( شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ )<sup>(٣)</sup>.

وإذ شرّع الخالق البارئ الإسلام الحنيف ديناً سرمدياً للبشرية جمعاء في قوله تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)<sup>(٤)</sup> وجب منه وحده وهو الصانع الحكيم اختيار أئمة الهدى والنصّ عليهم لأئهم مصاديق تطبيق شرعته في الأرض يقول عزّ اسمه (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ)<sup>(٥)</sup>.

ونظرية النصّ على الإمامة في القرآن الكريم التي أرسى دعائهما العلامة الشيخ محسن الأراكي تُعدُّ بحقّ تأصيلاً قرآنياً رائعاً لمفهوم الإمامة الإلهية وإثراء للعقل الإسلامي الذي انشطر بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى شطرين:

شطر قال بأنّ الإمامة منصبٌ إلهي منصوص على من يليها وشطر استدل على صحة الإمامة إما بإجماع الأمة أو وصية السلف للخلف، أو الشورى، أو بالتسلّط والغلبة<sup>(٦)</sup>.

ويحقّ للمدرسة الفكرية القائلة بالنصّ الإلهي على الإمامة إعتبار إبتكار العلامة الأراكي في تأصيله القرآني الفريد لنظرية النصّ على الإمامة، اعتبارها ترجيحاً قوياً وكبيراً لها إلا أنّ هذه الإبتكارات تعتبر في ذات الوقت انتصاراً للعقل المسلم الواعي برمته وهو يستدعي مآسي الأمة الإسلامية منذ وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) وما أريقت من دماء على قضية الإمامة التي يقول عنها الشهرستاني في الملل والنحل «ما سئل سيف في الإسلام على قاعدة دينية كما سئل في الإمامة». ويستحضر في الوقت نفسه محنة المسلمين المعاصرة بحثاً في أسبابها وأهمها إذ يقف بالتأكيد على السبب الأساس في ذلك كله وهو الخلل في فهم الإمامة الإلهية ومصاديقها الحقّة وإبعادها عن مواقعها التي جعلها الله فيها والتي كان من نتائجها المرة هو ما آلت إليه أمور المسلمين من تشرذم وتشتت وضياع واستضعاف وتسلّط الكافرين عليهم ونهب ثرواتهم بعد أن كانوا خير أمة أخرجت للناس.

(٣) الشورى: ١٣.

(٤) آل عمران: ١٩.

(٥) القصص: ٦٨.

(٦) الدهلوي ص ٣٢٥، ومنهاج السنة ج ١ ص ١٤١ - ١٤٦.

والمصنّف العلامة آية الله الشيخ محسن الأراكي يعرض أطروحته في نصيّة الإمامة الإلهية قرآنيّاً، عرضاً يكشف عن خبرته العميقة بموارد الكلام ومصادره وبصيرته القرآنية الثاقبة مرميٍّ ومغزى وتفسيراً تراه قوي الحجة شديد العارضة ولعلّ أحد أهم أسباب توقّره على هذه الخصائص المتميزة هي أنّه تخرّج من أعرق جامعتين دينيّتين وهما جامعة النجف العلمية وجامعة قم الكبرى وتعمّق بدراسته الفقهية والأصولية والفلسفيّة على يدي عملاقي الصحوّة الاسلاميّة المعاصرة وهما رائد البناء الفكري الإمام السيد محمّد باقر الصدر وقائد الثورة ومؤسس الدولة الاسلاميّة الحديثة الإمام الأكبر روح الله الموسوي الخميني (رضوان الله عليهما).

ولأن القرآن العظيم وبإجماع المسلمين هو المرجع الفصل في الاحتكام إلى كلّ القضايا الدينيّة فقد أثر المصنّف الأراكي - وقد كان سديداً - الاستدلال بآيات القرآن الكريم واستنطاقها عن أهم مفردة توحيدية عقائدية ألا وهي الإمامة الإلهية، وإثبات نظرية النصّ القرآنية على الإمامة ونفي الاختيار فيها عن كلّ من هم دون الخالق القدير المتعال جلّ وعلا وقد وقّق إلى حد بعيد.

#### اختيار الأئمة (عليهم السلام) - حقّ الله وحده

ويبدو أن اختصاص الحقّ تعالى باختيار الأئمة الإلهيين واجتباؤهم على طول التاريخ لم يرق لكثير من بني البشر بل وحتى لمن كان يوصف بـ«طاووس الملائكة» إبليس وهو من الجن. يقول تعالى: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ \* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ \* فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ \* إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ \* قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ \* قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ)<sup>(٧)</sup>.

ولم يرق لبني إسرائيل أيضاً اصطفاء الله تعالى طالوت ملكاً عليهم كما يقول عز من قائل: (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَتَىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)<sup>(٨)</sup>.

(٧) ص: ٧١ - ٧٦.

(٨) البقرة: ٢٤٧.

وكذلك فان عرب الجاهلية لم يرق لهم اجتناء الله للرسول الأمين محمد(صلى الله عليه وآله) ، وإنزال الكتاب الكريم عليه كما يحكي لنا القرآن العظيم.

(وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْشِ عَظِيمٍ) <sup>(٩)</sup>.

ولأهمية مفهوم الإمامة الإلهية وموقعيتها الحساسة فقد اختص الحق تعالى لنفسه بحق التعيين والتنصيب ونفاه جلّ وعلا عمّن سواه بمن فيهم الرسل والأنبياء(عليهم السلام)، ناهيك عن سائر الناس.

### أطروحة النصّ

ففي تمهيده للمصنّف يقول العلامة الأراكي عن النظرية بأنّها: «تربط بين حياة الإنسان فرداً ومجتمعاً وبين ربّه ربطاً شاملاً، يستوعب كلّ حركاته الإرادية والإختيارية وتفسّر العبودية لله تفسيراً يرى في عبودية الإنسان لله خضوعاً من الإنسان في كلّ ما يمكن أن يختار ويريد. كما ينسف الأراكي هنا نظرية القائلين بأنّ السماء لم تتدخل في أمر القيادة بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله) .

في المبحث الأوّل يبدأ العلامة الأراكي بتعريف الإمامة بحسب المفهوم القرآني بأنّها: «قيادة الإنسان إلى ذروة الكمال الممكن له»، أي الرئاسة العامّة في أمور الدنيا والدين.

ثم يعرّج المؤلف على درج مواصفات الإمامة في القرآن مستدلاً بالآيات القرآنية وهذه المواصفات هي:

أولاً: إنّ الإمامة شاملة لكلّ ما يختلف فيه الناس (أي كلّ فعل إرادي).

ثانياً: وأنها (الإمامة) شاملة لكلّ ما يحتل العدل والظلم.

ثالثاً: الإمامة شاملة للإنسان مجتمعاً وفرداً في كلّ أفعاله الاختيارية، ويربط المؤلف ربطاً وثيقاً ومحكماً بين الإمامة وحقيقة التوحيد فيقول: إنّ حقيقة التوحيد في العبادة إنّما هي توحيد الطاعة لله سبحانه، ولا طريق إلى توحيد الطاعة لله سبحانه إلاّ بإطاعة الإمام المنسوب - من قبل الله - الذي لا يأمر ولا ينهى إلاّ بما يرضي الله سبحانه وتعالى.



ويورد المؤلف أصنافاً من شواهد قرآنية هي آيات العبادة وآيات الأمر وآيات الحكم وآيات الملك التي تكشف بما لا يدع مجالاً للشك عن أن الطاعة لا تكون إلا لله وأن الحكم والملك والأمر والولاية ليست إلا بيده فهو تعالى الذي يختار للحكم والسلطة من بين الناس من يشاء، وأما رأي الناس فيقول الأراكي بأنه «ضروري في إعطاء القوة وتنفيذ الحكم وليس رأي الناس هو الذي تدور عليه شرعية الحكم».

وفي المبحث الثاني يدخل المؤلف إلى لبّ الموضوع وهو أن الإمامة لا تتم إلا بالتعيين الإلهي وأنها منصب إلهي يختار الله له من يشاء.

ويورد مجموعة من الآيات القرآنية صنفها إلى:

- ١ - آيات الأمر، وهي الآيات التي تدل على أن الأمر خاصّ بالله.
- ٢ - آيات الحكم، وهي الآيات التي تدل على أن الحكم لله وليس لغيره.
- ٣ - آيات الملك، وهي الآيات التي تحصر الملك في الله وحده.
- ٤ - آيات الولاية، وهي الآيات التي تدلّ على أن الولاية بيد الله.
- ٥ - آيات الطاعة، وهي على قسمين: الآيات التي تأمر بطاعة الرسول طاعة مطلقة، والآيات التي تدلّ على وجوب الردّ إلى أولي الأمر.
- ٦ - آية الاختيار، التي تدل على أن الاختيار بيده تعالى.
- ٧ - آية التحكيم.
- ٨ - آيات الإيتاء.

ويخلق الأراكي رائعاً في تفسير آية الشورى: (وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) وما يبدو للوهلة الأولى من أنها تعارض آية الاختيار، فينصّ «أمرت آية الشورى الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) بالمشورة إلا أنها تركت له حقّ القرار والعزم، وبذلك لا يمكن أن تكون الشورى مصدر قرار بل عبارة عن تبادل الآراء واختيارها تمهيداً لاتخاذ القرار».

وفي البحث الثالث، يفصّل المؤلف موضوعة النصّ على الأئمة في القرآن الكريم ضمن صيغ ثلاث من التعيين:

الصيغة الأولى: وهي آيات النصّ التي دلت على الأئمة على مدى التاريخ.

الصيغة الثانية: آيات النصّ التي دلت على الأئمة من آل إبراهيم واستمرار الإمامة الإلهية في ذرية إبراهيم ونسله على مدى التاريخ.

**الصيغة الثالث: آيات النصّ على تعيين الأئمة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أهل بيته وهم عليّ وفاطمة وأولادهما الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.**  
ويستشهد المؤلف بأربعة شواهد قرآنية متتالية للتدليل على النصّ العامّ على الأئمة على مدى التاريخ، وأنه جلّ وعلا نصب للبشرية أئمة في كلّ زمان كقوله تعالى: ( وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ )<sup>(١٠)</sup> ، أي أننا بعثنا في كلّ أمة قادة إلهيين سياسيين يحكمون بما أمر الله ويدعون الناس إلى عبادة الله والخضوع لحكمه، ورفض حكومة الطواغيت وعدم الخضوع لهم وأن الإمامة الإلهية لا تختصّ بفترة زمنية محدّدة بل هي مستمرة على طول تاريخ البشرية.  
وينتقل الباحث الأراكي إلى الصيغة الثانية وهي آيات النصّ على الأئمة من آل إبراهيم فيورد خمسة شواهد قرآنية متتالية ضمن مسلسل شيق وفريد، يبدأها ببشارة الله تعالى لإبراهيم بجعله وذريّته أئمة صالحين استجابة لدعائه يوم كان شاباً في أوج صراعه مع المشركين والكافرين.

يقول تعالى عن لسان إبراهيم (عليه السلام) : ( رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَ اَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ )<sup>(١١)</sup> .  
ويقول تعالى: ( وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ )<sup>(١٢)</sup> .

وإذ طلب إبراهيم (عليه السلام) الإمامة لذريّته فقد استجاب الحقّ تعالى لدعائه ضمن شرط، لا يمكن للإرادة الإلهية تجاوزه وهو شرط العدالة التامة حينما سُئل (وَمِنْ ذُرِّيَّتِي؟ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)، فشرط العدالة التامة، هو حدّ العصمة.

ثم يشقّق المصنّف بدقة الاصطفاء الإلهي إلى نوعين:

**الأول: الاصطفاء الفردي، وهو اصطفاء آدم ونوح.**

**الثاني: الاصطفاء الأسري (العائلي) وهو اصطفاء آل إبراهيم وآل عمران يقول تعالى: ( إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ \* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ )<sup>(١٣)</sup> .**

(١٠) النحل: ٣٦ .

(١١) الشعراء: ٨٣ .

(١٢) العنكبوت: ٢٧ .

(١٣) آل عمران: ٣٣ - ٣٤ .

وهنا يستدرك المصنّف نقطة هامة في هذا الاصطفاء فيشترط فيه المؤهلات والكفاءات الربّانية القيادية وأنه ليس قائماً على النسب (ذُرِّيَّةَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (١٤) .

ويضيف: «إِنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ وَغَيْرَهَا تَدُلُّ عَلَى اسْتِمْرَارِيَةِ الاصطفاء الإلهي في آل إبراهيم وأن العصور المختلفة شهدت اصطفاءات خاصّة ضمن آل إبراهيم كان آخرها اصطفاء آل محمّد (عليهم السلام)». وقد سلّبت الإمامة عن بعض ذرية إبراهيم وانتقلت إلى غيرهم حينما فقدت المجموعة الأولى صلاحياتها وكفاءاتها، في قوله تعالى: (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ) (١٥)، وفي قوله تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ) (١٦) فقد انتزع الله الإمامة من ذرية إسحاق من آل إبراهيم وانتقلت إلى الطاهرين من بقية آل إبراهيم من إسماعيل وهم آل محمّد (عليهم السلام) .

أمّا الصيغة الثالثة من الآيات التي نصّت على إمامة الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) فقد استهلّها المؤلف بالحكمة الإلهية التي اختارت أسلوب الإشارة والوصف في النصّ على إمامة أهل البيت (عليهم السلام) إبقاءً عليهم وعلى القرآن نفسه.

ثم يورد المؤلف ستة شواهد قرآنية بليغة نصّت على إمامة أهل البيت (عليهم السلام) .  
أولها، آية الولاية: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (١٧) .

الثانية: آية التطهير.

الثالثة: آية القربى.

الرابعة: آية التبليغ.

الخامسة: آيات الشهادة.

حيث يستعرض المؤلف فيها أربعة مفاهيم قرآنية هامة جداً وهي:

١ - لله تعالى في كلّ أمة شهيد.

٢ - مواصفات الشهداء.

(١٤) آل عمران: ٣٤ .

(١٥) مريم: ٥٩ .

(١٦) النساء: ١٥٥ .

(١٧) المائدة: ٥٥ .

٣ - شهادة الرسول على المسلمين في عصر النبوة.

٤ - الشاهد التالي لرسول الله (صلى الله عليه وآله) .

#### خاتمة

أخيراً فالكتاب سفر فكريّ ثقیل یسدّ فراغاً في المكتبة الفكرية الإسلامية وיעدّ دون مغالاة أوّل مصنّف مستقل في فئه وبالتأكيد سيكون مرجعاً للباحثين والمفكرين والمعنيين بالسجل الفكري الواعي بين مدرسة التعيين الإلهي للإمامة ومدرسة انتخابها من قبل الأمة، كما سترك دون شكّ أثره الإيجابي على الساحة الفكرية الإسلامية، وبالتالي على المسرح الإسلامي كله. والله تعالى من وراء القصد.

مؤسسة بوك اكسترا العالمية

للنشر والتوزيع

## نظرية النصّ على الإمامة

### في القرآن الكريم

## تمهيد

ليس بحث الإمامة في الإسلام بحثاً عقائدياً فحسب، بل هو في الواقع بحث حول تحديد مفهوم الإسلام أولاً وهو بحث حول واقع الإسلام ومصادقه التطبيقي ثانياً ، هذا عدا ما يترتب على مبحث الإمامة من النتائج الكلامية والفلسفية، والفقهية وغير ذلك على مستوى البحث النظري الأكاديمي.

فالنظرية التي تقول بالنصّ، تربط بين حياة الإنسان فرداً ومجتمعاً وبين ربّه ربطاً شاملاً يستوعب كلّ حركاته الإرادية والاختيارية ويفسّر العبودية لله تفسيراً يرى في عبودية الإنسان لله خضوعاً من الإنسان في كلّ ما يمكن أن يختار أو يريد، لإرادة الله سبحانه في كلّ ما يختار ويشاء.

ووفقاً لهذا التصور، فالإله ليس ربّاً يعبد بالطقوس والمراسيم المعتادة فحسب، وليس ربّاً محصوراً بين جدران المساجد والمعابد، وليس ربّاً كما يقَدّس الشيوخ والجدود ويحصر في الزمن الماضي البعيد ويحجر عليه أن يتصرف في الكون والإنسان الحاضر، وليس ربّاً أسطورياً يعرف في القصص الأساطيرية التي تحكي الزمن الغابر.

كما أنّ إله هذا التصور ليس إله الموتى والعاجزين فحسب ولا إله المنكوبين والقاصرين فحسب، وليس ذلك الإله الذي لا شأن له بالإنسان وحياته الدنيا، وليس ذلك الإله الذي يقف مطلاً في أعالي السماوات يستعرض أحداث الأرض من غير أن يتدخّل فيها ولا ذلك الإله الذي حظر عليه أن يخاطب الإنسان إلا بالموعظة الهادئة والحديث الرقيق خوفاً من أن يجرح عواطف الشرفاء من المستكبرين، والطغاة اللاعبين بمقدرات إنسان الأرض كما يشتهون.

وأما النظرية التي تزعم أن الله تخلى عن إدارة الأرض وأهمّل شأنها بعد عصر الوحي وبذلك تحجب السماء أن تتدخل في أمر القيادة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وتضع حداً للتدخل الإلهي في قيادة الإنسان بعد عصر الرسالة فإنّها تواجه تناقضاً

مراً، لا تجد منه مفراً منطقياً بين التصور القرآني الواضح عن الله سبحانه وعبوديته الكاملة التامة التي يهدف القرآن أن يربي الإنسان عليها ويقيم مجتمع العدل في الأرض على أساسها وبين إهمال أمر القيادة وتسييبها بعد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وفتح بابها على الحابل والنابل، ممّن لا تلازم بين سلوكهم وشريعة الله سبحانه وتعالى، ولا بين طاعتهم وطاعته سبحانه وتعالى.

ولو أنّ أحداً فتح عينيه على الأحداث التي حدثت بعد وفاة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وما أدّت إليه بعد ثلاثة عقود فحسب من سيطرة الطغاة على رقاب المسلمين، واستهتارهم بكرامة الناس، وما ارتكبوه من إبادة الصالحين واستئصالهم للأميرين بالمعروف والناهيين عن المنكر، وتلاعبهم بمقدرات المجتمع الإسلامي وثرواته وخيراته، حتى انتهى الأمر بالأمّة التي أعزّها الله بطاعته وأكرمها بنبيّه إلى ما نجده في زماننا الحاضر من الذل الشامل والفرقة والتخلف وغير ذلك ممّا حدّثنا الله سبحانه تعالى منه إن أعرضنا عن دينه وعصينا رسوله .

أقول: لو فتح البصير عينيه على ما حدث للمسلمين بعد الرسول حتى انتهى بهم إلى هذه النتيجة المرّة المستتكرة لكفاه دليلاً على فساد نظرية الإهمال والتسييب في الإمامة والقيادة ولغداً على يقين من قوله تعالى: (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ\* وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ\* وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (١٨) .

ولقد أدى حرص القادة الإلهيين بعد الرسول على أصل الرسالة ومستقبلها إلى أن يسلكوا مع أصحاب السلطة اللا شرعية سلوكاً لا يؤدّي إلى القضاء على أصل الرسالة والتشكيك في صدق المصدّع بها، ولقد كان موقف القادة الإلهيين بعد عصر الرسالة موقفاً صعباً، جعلهم بين أمرين أحلاهما مرّاً، فإما أن يصروا على الإعلان على النصّ الإلهي الذي بيّن حقيقة الأمر في الإمامة بعد رسول الله، وأن يؤكّدوا على النصوص التي سمعها المسلمون من رسول الله ثم شهدوا مخالفة المقرّبين من رسول الله وانكارهم الصريح لها، فوهنوا عن الانتصار لها ولأهلها، أو أن يهملوا بيان ركن عظيم من أركان الدين وهو ركن القيادة والإمامة وفي هذا الإهمال تضييع للدين وتعريض لمستقبل المجتمع الإسلامي لكثير من الأخطار والعواقب الفاسدة التي لا

يعلم مداها إلا الله سبحانه وتعالى، ولكن إصرارهم على هذا الإعلان، وتحديهم السافر للمستبدين بالسلطة الذين لم يتورعوا عن الإجهار بمخالفة الرسول وهو حي حاضر والتشكيك في سلامة رأيه حين طلب منهم «أن يأتوا له بكتف ودواة ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً» فواجهه بعضهم بالقول: «هجر رسول الله»<sup>(١٩)</sup>، أو «غلبه الوجد ولا حاجة لنا إلى كتاب، حسبنا كتاب الله»<sup>(٢٠)</sup>، كان يؤدي لا محالة إلى إصرار المستبدين بالسلطة على التشكيك ليس بالنص الذي يروى عن رسول الله فحسب، بل التشكيك في كلام رسول الله نفسه واتهامه بما ينافي عصمته وصدق إخباره عن الله سبحانه في كل ما يفعل ويقول، ولو صدر مثل هذا عن بعض من كان يُعدّ من المقرّبين عند رسول الله، لفتح باب التشكيك على رسول الله وعلى رسالته على مصراعيه، وكان في ذلك زوال الرسالة الإسلامية وانهدام أركان الدين من الأساس.

لكن إهمالهم لبيان هذا الركن الخطير من أركان الدين هو الآخر تعريض لمستقبل الإسلام والمجتمع الإسلامي لنتائج مرّة لا تقل خطراً عن أصل زوال الدين، فكان لابدّ أن يسلك القادة الإلهيون مسلكاً وسطاً بين المسلكين يجنبهم - من ناحية - خطر الصدام بالسلطة ويضمن لهم من جانب آخر نشر الحقيقة التي نزل بها الوحي على رسوله الأمين بشأن الإمامة والقيادة فبدأوا - هم والثابتون على الإيمان من صحابة رسول الله والمقرّبين لديه - يثبتون النصوص عن رسول الله بشأن الإمامة بعد رسول الله بثناء رقيقاً يتجنبون به إثارة السلطة، وكان بعضها تطبيقاً لما ورد في هذا الشأن في كتاب الله، وبعضها الآخر نصوصاً بيّن فيها الرسول حقائق الوحي في قضية الإمامة ووضع فيها النقاط على الحروف.

وكان هذا هو الأسلوب الذي اتّخذه القرآن الحكيم من قبل في الإعلان عن قضية الإمامة بعد رسول الله، فقد استخدم ربنا سبحانه وتعالى في كتابه العزيز فيما يخص شأن الإمامة بعد الرسول أسلوباً خاصاً يجمع بين البيان والوضوح لمن يطلب الحقيقة من جهة وبين تجنب الصدام المباشر، والمواجهة العارية من جهة أخرى مع النفوس التي طالما طمحت إلى السلطة بعد رسول الله وبقيت ترتقب ساعة الصفر لتنتال ما تآقت إليه وحُرمت منه من الرئاسة، وكان يثقل عليها أن تخضع لقيادة الأكفاء من

(١٩) البخاري باب جوائز الوفاء من كتاب الجهاد: ١٢٠/٢، وكتاب الوصية من صحيح مسلم باب ترك الوصية.

(٢٠) البخاري كتاب العلم، باب كتاب العلم: ٢٢/١ - ٢٣.



الأئمة الصالحين من أهل البيت، الذين اصطفاهم الله للإمامة وطهرهم عن الرجس تطهيراً.

ولو أنّ أحداً أمعن النظر في كتاب الله وأحسن التدبّر في آياته، وأزاح عن بصره حجب الهوى والعصبية لوجد في كتاب الله كمّاً هائلاً من الآيات البيّنات التي تتصدى لبيان الإمامة الإلهية في كبرياتها وقواعدها تارة وفي صغرياتها ومصاديقها أخرى، ولعرف بما لا يقبل التردد أن جوهر التوحيد القرآني إنّما يتلخّص في الولاية والإمامة الإلهية المستمرة على مدى العصور، وفي كلّ مراحل حياة الإنسان وأدوارها منذ فجر التاريخ وحتى نهايته التي يرث فيها الله الأرض ومن عليها.

ولقد أتيحت لي فرصة البحث عن بعض ما ورد بشأن الإمامة الإلهية في القرآن الكريم مع بعض الدارسين وأهل الثقافة والعلم في لندن في شهر رمضان المبارك سنة (١٤١٨ هـ)، فاكتملت أربع محاضرات أُلقيت في قاعة دار الإسلام تحت عنوان «إمامة النصّ في القرآن الكريم» ثمّ تجسّم بعض الإخوة المؤمنين من الحضور عناء إفراغ التسجيل الصوتي للبحث على الورق، وقد أعدت النظر فيه فعُدّلت منه بعض ما كان يحتاج إلى التعديل وأكملت بعض ما كان يحتاج إلى التكميل، فخرج في صورته التي يراها القارئ الكريم بين يديه .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبّله ممّا بقبول حسن وأن ينفع به المؤمنين وطلاب الحقّ واليقين، إنّه سميع الدعاء قريب مجيب.

محسن الأراكي

## المبحث الأول

### ● الإمامة في القرآن الكريم

- معنى الإمامة في القرآن الكريم

### ● مواصفات الإمامة في القرآن الكريم

- الإمامة شاملة لكل ما يختلف فيه الناس

- الإمامة شاملة لكل ما يحتمل العدل والظلم.

الاختيارية - الإمامة شاملة للإنسان فرداً ومجتمعاً في كلّ الأفعال

### ● الإمامة وحقيقة التوحيد

- توحيد الطاعة لله سبحانه

- شرعية الحاكم ليست مستمدة من رأي الناس

- الحقّ والعدل سابقان على الإرادة الإنسانية

حديثنا حول الإمامة يتضمن عدّة مباحث:

## المبحث الأول مفهوم الإمامة في القرآن الكريم

معنى الإمامة في القرآن الكريم: قيادة الإنسان إلى ذروة الكمال الممكن له. فالإمامة - كما يعرضها القرآن الكريم - ليست إمامة في الدين - بمعنى العبادات فقط، كما أنها ليست إمامة في الدنيا - أي ما سوى العبادات من أمور الحياة - فحسب، وإنما هي إمامة الإنسان في كلّ أفعاله الاختيارية، وبعبارة أخرى: في كلّ فعل يقبل أن يكون عدلاً أو ظلماً سواء أكان اجتماعياً أم فردياً، دنيوياً أم أخروياً، وكلّ فعل يصحّ أن يوصف بحقّ أو باطل، أن يضلّ به الإنسان أو يهتدي.

### مواصفات الإمامة في القرآن الكريم

ومن أجل تحديد مفهوم الإمامة في القرآن الكريم، ينبغي أن نشير إلى أنّ الإمامة في القرآن الكريم لها ثلاث مواصفات:

الأولى: إنّ الإمامة شاملة لكلّ ما يختلف فيه الناس أي تشمل كلّ فعل إرادي، لأنّ الاختلاف إنما هو فرع الإرادة والفعل غير الإرادي لا يختلف فيه، فالموجودات غير الإرادية تتساوى وتتحد في أفعالها وآثارها.

والإنسان إذ يختلف مع الآخر، ذلك لأنّ هذا يريد شيئاً وذاك يريد شيئاً آخر فيختلفان. هذا هو معنى الاختلاف فهو فرع الإرادة. أمّا إذا كان الفعل غير إرادي فلا يحصل فيه الاختلاف. بل يصبح عملاً رتيباً.

الثانية: إنّ الإمامة شاملة لكلّ ما يحتمل العدل أو الظلم.

الثالثة: لا فرق في الإمامة الإلهية بين الفرد والمجتمع وبين الأفعال الدنيوية والأخروية والمعنوية والمادية، فهي شاملة للإنسان مجتمعاً وفرداً في كلّ أفعاله الاختيارية وسوف نجد في آيات القرآن ما يؤكد هذه المواصفات الثلاث في مفهوم الإمامة.

ثم إنّ هذا المفهوم الذي تحدّده القرآن الكريم للإمامة يكفي بنفسه دليلاً على ضرورة النصّ على الإمام وأن يكون منصوباً من قبل الله سبحانه تعالى، لأنّ الإنسان في أفعاله الاختيارية نحو الفضيلة والكمال الأسمى لا يمكن أن يعرف أهلها إلا بالوحي والنصّ الإلهي قال تعالى: (فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى) (٢١) ، وقال تعالى: (بَلِ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ) (٢٢) .

ولنبداً بمطالعة الآيات القرآنية الكريمة لنحدد من خلالها مفهوم الإمامة بمواصفاتها الثلاث، وبهذا الصدد سنتعرض إلى مجموعة من آيات الكتاب:

يقول الله سبحانه وتعالى: (أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ\* وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) (٢٣) .

إنّ هذه الآية تؤكّد بصرامة على مفهومين:

الأول: إنّ الله هو الوليّ وأنه لا يجوز للإنسان أن يتّخذ غيره وليّاً.

الثاني: إنّ كلّ ما يختلف فيه الناس فحكمه إلى الله، وحينما نضمّ هذين المفهومين بعضهما إلى بعض تنتهي إلى أنّ الله وحده هو الوليّ وهو الحاكم ليس لغيره أن يتولّى أمر الناس أو يحكمهم، وأن ولايته وحكمه لا تنحصر في مجال خاص من مجالات حياة الإنسان، بل يشمل كلّ ما يختلف فيه، وما يختلف فيه هو كلّ فعل إرادي يختاره الإنسان حسب العوامل والملاكات التي توجّه إرادته، فإنّ الفعل الإرادي هو الذي يختلف فيه الناس لاختلاف أهوائهم وحاجاتهم ومشاربهم والعوامل المؤثرة فيهم.

ثمّ إنّنا إذا ضمّنا إلى هاتين الآيتين آيتين أخريين من سورة المائدة فسوف تتكامل عندها صورة الإمامة القرآنية: قال الله تعالى:

(٢١) النجم: ٣٢ .

(٢٢) النساء: ٤٩ .

(٢٣) الشورى: ٩ - ١٠ .

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ\* وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) (٢٤).

صرّحت الآيتان بأنّ ولاية الله ورسوله والذين آمنوا ولاية مطلقة غير محدودة، بمجال دون مجال، أو موضوع دون آخر.

وقال تعالى: (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) (٢٥).

فقد جعل الله سبحانه وتعالى الإمامة هنا شاملة كلّ ما يمكن أن يكون لهم فيه إمام، بجعل مطلق. فالآية تعني أنّي جاعلك إماماً في كلّ شيء يحتاج الناس فيه إلى إمام، ولم يقتصر على إمامة الدنيا، أو إمامة الآخرة، أو في الأمور الاجتماعية، أو الفردية وغير ذلك.

وقال تعالى: أيضاً:

(إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ) (٢٦).

والخطاب موجّه إلى الرسول (صلى الله عليه وآله)، أي لتحكم بين الناس في كلّ ما يحتاجون فيه إلى حكم، وهذا جعل مطلق أيضاً، غير مقيد بأمر معيّن أو خاص، فهو يحكم بينهم في كلّ مسألة تطرأ لهم.

وقال تعالى أيضاً:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (٢٧).

وأطيعوا هنا مطلق أيضاً، أي في كلّ ما يأمرونكم به، ولم يحدّد أو يحصر موضوع الطاعة في أمر معيّن.

إذن فالطاعة التي أمرنا بها هي طاعة في كلّ شيء يقبل الأمر والنهي.

ومن الجدير بالذكر أنّ القرآن الكريم لا يقل اهتمامه بالإمامة عن إهتمامه بالتوحيد، ولعلّ الآيات القرآنية الواردة في الإمامة لا تقل عمّا ورد في مجال التوحيد بل نجد في القرآن في كثير من الأحيان ذكر الإمامة والقيادة الإلهية بعد ذكر التوحيد كما في الآيات التالية:

(٢٤) المائدة: ٥٥ - ٥٦ .

(٢٥) البقرة: ١٢٤ .

(٢٦) النساء: ١٠٥ .

(٢٧) النساء: ٥٩ .

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا\* أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزْكِي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يَظْلُمُونَ فِتْيَلًا\* انْظُرْ كَيْفَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا\* أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا\* أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا\* أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُوَفُّونَ النَّاسَ نَقِيرًا\* أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا\* فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا\* إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا\* وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا\* إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا\* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا\* أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا\* وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا\* فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا\* أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيعًا\* وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا\* فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا\* وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا\* وَإِذَا لَا تَيْنَاهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا\* وَلَهْدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا\* وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا\* ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا) (٢٨).

ففي هذه الآيات بدأ القرآن الكريم بمفهوم التوحيد (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) ثم انتقل إلى موضوع الإمامة مما يؤكد أن التوحيد الإلهي لا يكتمل عملياً إلا ضمن مسيرة الإمامة والقيادة الربانية.

وكثيراً ما نجد في القرآن الكريم تأكيداً على الإمامة في أهدافها ومضمونها وحدودها وواجباتها ففي سورة الحديد يقول الله تعالى:

(لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) (٢٩).

فقيادتهم ورسالتهم وإمامتهم تهدف إلى أن يقوم الناس بالقسط، وكل شيء له دخل في أن يقوم الناس بالقسط، فهم أئمة فيه، لأنهم أمروا وأرسلوا ليقوم الناس بالقسط، فكل ما يوقر قسطاً للناس ويقرّ عدلاً، أو يرفع ظلماً عن الناس فهم أئمة فيه.

وكذلك الآيات التي تؤكد الطاعة لله والرسول وللرسل جميعاً هي آيات مطلقة أيضاً.

قال تعالى: (اطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ) (٣٠). وقال تعالى عن لسان كبار الأنبياء والرسل وهم يخاطبون أممهم: (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا) (٣١). ولا توجد لدينا آية واحدة تدلّ في مضمونها على أنه أطيعوني في أمور الآخرة فقط، أو أطيعوني في أمور ما بعد القبر، أو أطيعوني في العبادات فقط، وهكذا فلفظ أطيعوني المطلق يشتمل على أمور الدين والدنيا.

قال الله تعالى عن لسان نبيه صالح (عليه السلام) :

(فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا \* وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ \* الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ) (٣٢).

أي أطيعوني ولا تطيعوا المفسدين.

ففي هذه الآية يقول النبي صالح (عليه السلام) مخاطباً قومه بما تفسيره: إنني إنما جئتكم لأقودكم في هذه الحياة ولأمسك زمام الأمور ولأمنع من طاعة المستكبرين والمفسدين.

(٢٩) الحديد: ٢٥ .

(٣٠) آل عمران: ٣٢ .

(٣١) الشعراء: ١٥٠ .

(٣٢) الشعراء: ١٥٠ - ١٥٢ .

فالإمامة إذن حسب المفهوم القرآني، عبارة عن الرئاسة العامة في أمور الدنيا والدين، أو كما قلنا (قيادة الإنسان في أفعاله الاختيارية إلى ذروة الكمال المقصود)، هذه هي الإمامة حسب المفهوم القرآني .

### الإمامة وحقيقة التوحيد

ثم إنَّ هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم دلّت على أن الطاعة والولاية والأمر والسلطة بيد الله وحده، فليس له شريك في الحكم وليس له شريك في الأمر، فكما لا يجوز أن نشرك في عبادتنا له فنعبد الله ونعبد غيره، كذلك الطاعة، فلا يجوز أن نطيع الله ونطيع غيره.

فالطاعة لله وحده، ومن هنا فلا بد أن يعيّن الله في خلقه إماماً تكون طاعته طاعة له، أي لا بدّ أن يكون هناك إمام من الله يأمر الله بطاعته حتى يتحقق التوحيد في الطاعة لله سبحانه وتعالى بطاعة الإمام التي هي طاعة الله سبحانه وتعالى.

فحقيقة التوحيد في العبادة إنّما هي توحيد الطاعة لله سبحانه، ولا طريق إلى توحيد الطاعة له سبحانه إلاّ بإطاعة الإمام المنصوب من قبل الله، والذي لا يأمر ولا ينهي إلاّ بما يرضي الله سبحانه وتعالى.

أما الآيات التي تدل على أنّ الطاعة لا تكون إلاّ لله وأنّ الحكم والملك والأمر والولاية ليست إلاّ بيده وهو الذي يختار للحكم والسلطة بين الناس من يشاء فكثيرة نشير إلى بعضها:

فمنها: آيات العبادة كقوله تعالى: عن لسان أنبيائه:

(فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) (٣٣) .

وقوله تعالى أيضاً:

(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) (٣٤) .

والمقصود بالعبادة هو الخضوع لله سبحانه والطاعة التامة له وليس المقصود بها الطقوس والمناسك العبادية خاصّة.

ومنها: آيات الأمر كقوله تعالى:

(أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) (٣٥) .

(٣٣) المؤمنون: ٢٣ .

(٣٤) النحل: ٣٦ .



فليس لأحد أن يأمر إلا الله، وليس لأحد أي سلطة إلا السلطة التي يعطيها الله سبحانه وتعالى إياه فهو الذي له حق الأمر قال تعالى:

(بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا) (٣٦) .

ومنها: آيات الحكم كقوله تعالى: (أَلَا لَهُ الْحُكْمُ) (٣٧) .

والآية: (إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ) (٣٨) .

والآية: (وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا) (٣٩)

ومنها: آيات الملك كقوله: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ \* مَلِكِ النَّاسِ) (٤٠) .

فالله هو الملك وهو الأمر والناهي وهو الحاكم ليس غيره، لكن ذلك لا يعني أن يباشر الحكم والقيادة والأمر والنهي بنفسه فإنه سبحانه ليس بشراً وليس جسماً يرى فلا بد أن يحكم الناس من خلال إنسان مثلهم يرونه ويراهم يأكل مما يأكلون منه ويشرب مما يشربون، ولا بد أن يكون هذا الإنسان متصفاً بمواصفات معينة تؤهله لكي يبين للناس حكم الله تعالى ويدعوهم إلى طاعته ويقودهم إلى مرضاته فتكون طاعة هذا الإنسان الإلهي - الذي يأتي إلى الناس بالبينات والبراهين التي تدل على نصبه للحكم والقيادة من قبل الله سبحانه - طاعة الله سبحانه والخضوع له في الحكم خضوعاً لله سبحانه وتعالى.

وما ذكرناه من أن السلطة الإلهية لا تعني الحكم الإلهي المباشر بل تعني الحكم الإلهي من خلال سفراء الله سبحانه ومن أذن الله لهم بالحكم، ليس خاصاً بالحكومات الإلهية بل الأمر كذلك في الحكومات البشرية أيضاً، فحين نقول مثلاً: إن فلاناً قائد الدولة وحاكمها ليس يعني ذلك أن حاكم الدولة وقائدها يباشر أمور القيادة والحكم كلها بنفسه، بل لابد أن يكون له أعوان وممثلون وأعضاء ووكلاء ومدراء وأجهزة تقوم بتنفيذ أوامره وإبلاغها وإدارة شؤون الناس على ضوئها.

(٣٥) الأعراف: ٥٤ .

(٣٦) الرعد: ٣١ .

(٣٧) الأنعام: ٦٢ .

(٣٨) الأنعام: ٥٧ .

(٣٩) الكهف: ٢٦ .

(٤٠) الناس: ١ - ٢ .

فقول الناس فلان قائدنا لا يعني أن كل واحد منهم يتصل به بصورة مباشرة بل هو يعين أناساً من قبله فيأمرون ويكون أمرهم كأمره وطاعتهم كطاعتهم للقائد الأعلى.

يقول تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ) (٤١). فأنت الذي تعطي وتمنع هذا الملك، وليس هنالك غيرك من يؤتي وينزع هذا الملك، فلا يؤتیه غيرك، وتنزع الملك ممن تشاء وتعزّ من تشاء، وتنزل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير.

وفي سورة البقرة في قضية طالوت، قوله تعالى:

(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَأَتَى بِكَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (٤٢).

في هذه الآيات تصريح واضح بأن الملك الإلهي لا يمكن أن يختار له إلا من قبل الله سبحانه وتعالى، قال تعالى:

(قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ) (٤٣).

فهو الذي ينصب لملكه من يشاء وهو الذي يعين لملكه من يشاء وهو الذي يعطي الملك لمن يشاء.

وقال تعالى أيضاً: (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ) (٤٤).

فالذي يقول إن لغير الله حق السلطة وحق التعيين والنصب وحق الأمر والنهي فقد جعل مع الله شريكاً في الملك، وهذا شرك في الطاعة وهو مرفوض بنص القرآن الكريم، نعم إن رأي الشعب واختياره ضروري لقيام السلطة الإلهية بمعنى ضرورة إلتفافهم حول القيادة الإلهية ونصرتهم لها لتتمكن القيادة الإلهية من إقامة العدل، فالسلطة الإلهية وسلطة الأنبياء إنما تجد طريقها إلى التطبيق من خلال إرادة الناس

(٤١) آل عمران: ٢٦ .

(٤٢) البقرة: ٢٤٧ .

(٤٣) البقرة: ٢٤٧ .

(٤٤) الإسراء: ١١١ .

ونصرتهم للقيادة الإلهية، لكنّ مصدر شرعية الملك والسلطة إنّما هو الله سبحانه فالملك ليس إلّا الله وحده وهو الذي يختار له مَنْ يشاء.

وقد يكون الحاكم منصوباً من قبل الله سبحانه وتعالى ولا يطيعه الناس ولا ينصرونه ولا يخضعون لقيادته لكن ذلك لا يسلب منه الشرعيّة التي أعطها الله إياه بتنصيبه لحكم الناس فهو الحاكم الشرعي والإمام الحقّ وإن لم يتح له ممارسة الحكم عملياً لعدم إنصياح الناس له وعدم نصرتهم إيّاه.

إنّ رأي الناس ضروري في إعطاء القوّة وتنفيذ الحكم، وليس رأي الناس هو الذي تدور عليه شرعية الحاكم، فلا تدور الشرعية مدار الناس وإنّما الذي يدور مدار الناس والشعب إنّما هو نفوذ سلطة الحاكم وقدرته وقيام حكمه وتحقيق حكومته في الخارج، ولولا إطاعة الناس للحاكم ونصرتهم له لما استطاع أن يقيم الحكم، مهما كان هذا الحاكم صالحاً وحقاً في حكومته.

وهذا فارق أساس بين الرؤية الإلهية وبين الرؤية المادية التي لا تعتقد بإله في هذا الكون، فنحن نقول: هنالك حقّ وعدل قبل أن يختار الناس، وعلى الناس - حسب ما يحكم به الوجدان العقلي والضمير الإنساني - أن يختاروه، أمّا الرؤية الماديّة فلاترى عدلاً أو حقاً قبل اختيار الناس، وهذه الرؤية المادية نسف للأخلاق والقيم من جذورها، فإذا أنكرنا أن يكون حقّ وعدل قبل اختيار الناس فلا وجود لقيم أخلاقية أو مثل عليا تستحق أن يتبعها الناس وأن يدعو إليها المصلحون، وإنّما القيم والمثل هي ما أختاره الناس مهما كانت وأيّاً كانوا فلو اجتمع الناس على قتل الصالحين والأنبياء بإغراء من المفسدين والمستكبرين، كما حصل في كثير من أدوار التاريخ، فليس ذلك بمستنكر أخلاقياً، لأنّ ذلك ممّا أراده الناس وكلّ ما يريده الناس فهو حقّ ومشروع وبذلك تنتهي مهمّة المصلحين والأخلاقيين والتربويين، وتستنفذ الأخلاق والقيم أغراضها في المجتمع الإنساني، فليس وراء الواقع الإنساني فردياً كان أو اجتماعياً غاية يطلبها المصلحون، أو مقصد يدعو إليه الأخلاقيون والتربويون!

ومهما يكن من أمر فإنّ من أوضح ما يحكم به الوجدان الأخلاقي والضمير الإنساني وجود قيم ومثل سابقة على الإرادة الإنسانيّة يعبر عنها بالحقّ والعدل، وهذه المثل والقيم هي الملاك والمعيّار الأساس للشرعيّة، وهي متمثلة في الإرادة الإلهية، ومن أجل ذلك فالإرادة الإلهية هي التي تصلح لكي تكون مصدر الشرعية في

الحكم والسلطة مطلقاً. وهذا هو الذي تؤكد الآيات القرآنية التي أسلفناها وغيرها كما في الآيات التالية:

( وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ) (٤٥).

( فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ) (٤٦).

( لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ) (٤٧).

( تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ) (٤٨).

الملك كله بيد الله وهو الملك الذي ليس في الكون ملك حق غيره.

وليس هذا الملك ملكاً أخروياً فحسب بل الملك لله مطلقاً في الدنيا والآخرة وهذا هو الذي تدل عليه الآيات التي ذكرناها وهناك الكثير من الآيات تصرّح بذلك تصرّيحاً لا يقبل التأويل كقوله تعالى: (نَحْنُ أُولِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) (٤٩).

وقوله تعالى: (لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ) (٥٠).

وقوله تعالى: (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) (٥١). وقوله تعالى: (وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (٥٢).

إذن فالآيات التي أشرنا إليها وغيرها ممّا هو كثير في القرآن الكريم تؤكد على توحيد الطاعة لله وأن حقيقة التوحيد إنما هي توحيد الطاعة له سبحانه وتعالى، وأن التوحيد في العقيدة والعبادة لا يتم إلا بتوحيد الطاعة لله سبحانه.

\* \* \*

(٤٥) الإسراء: ١١١.

(٤٦) طه: ١١٤.

(٤٧) التغابن: ١.

(٤٨) الملك: ١.

(٤٩) فصلت: ٣١.

(٥٠) القصص: ٧٠.

(٥١) فاطر: ١٣.

(٥٢) البقرة: ٢٤٧.



## المبحث الثاني

### ● الإمامة لا تتم إلا بالتعيين الإلهي

- نماذج من الآيات الدالة على نظرية التعيين الإلهي
- آيات الأمر - آيات الحكم - آيات الملوك
- هل يحق للأمة التدخل في اختيار الإمام
- آيات الولايه - آيات الطاعة - آية الاختيار
- دور الأمة في القرآن الكريم

### ● بين الاختيار والشورى

- لا تعارض بين آية (مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ)، وآية الشورى
- معنى آية الشورى في القرآن الكريم
- آية التحكيم
- آيات الإيتاء
- معنى التشييع

### ● عصمة الإمام

- الإمام يجب أن يكون معصوماً بنص القرآن الكريم

## المبحث الثاني الإمامة لا تتم إلا بالتعيين الإلهي

فيما مضى ركزنا البحث حول تعريف الإمامة في القرآن وحددنا المفهوم الذي يقدمه القرآن الكريم للإمام والإمامة، ووضحنا بالدلائل البيّنة وبالإستناد إلى النصوص القرآنية الصريحة، أنّ الإمامة في القرآن الكريم تعني قيادة الإنسان في كلّ شؤونه الاختيارية نحو الكمال المطلوب. وذكرنا ثلاث مواصفات لمفهوم الإمامة في القرآن.

وهنا نتناول النصّ على الإمامة في القرآن، أو نظرية النصّ في القرآن الكريم، وأن الإمامة منصب إلهي يختار الله له من يشاء، فالإمامة بتعيين الله سبحانه وتعالى، ولم تُترك لاختيار الناس.

وسوف نجد أنّ القرآن الكريم يؤكّد وينصّ بوضوح على هذا المعنى وأنّ الإمامة شأن إلهي يختار الله لها من يشاء ولم يوكل الله سبحانه وتعالى أمر الإمامة إلى الناس أنفسهم.

وقبل البدء نشير إلى أنّ ما ذكرناه سابقاً يكفي بنفسه دليلاً على ضرورة كون الإمامة بالنصّ الإلهي، فقد ذكرنا أنّ الإمامة تعني قيادة الإنسان في كلّ شؤونه الاختيارية في خطّ رضى الله سبحانه، والإمامة بهذا المفهوم لا يمكن أن يختار لها إلا من قبل الله سبحانه وتعالى، ولا يمكن للإنسان العادي أن يختار من يصلح للإمامة التي من شأنها قيادة الإنسان في كلّ شؤونه الاختيارية إلى ما فيه رضى الله سبحانه وإلى الكمال المطلوب. فالإمامة بهذا المفهوم لا يمكن أن تكون إلا بنصّ من الله سبحانه وتعالى.

إذن فنفس مفهوم الإمامة الذي تحدّده القرآن يلزم نظرية النصّ والتعيين الإلهي، ولكن بغض النظر عن هذه النقطة جاء القرآن الكريم يحدد أن الإمامة لا بد أن تكون بالنصّ من الله. وسوف يلي هذا البحث بحث آخر نوضّح فيه أن القرآن لم يكتف بالتصريح والتأكيد على أن الإمامة تكون بنصّ من الله، بل إنّ القرآن الكريم مارس عملية التعيين الإلهي بطريقة خاصة سوف نتناول الحديث عنها في موضعه.

والذي نريد البحث عنه هنا هو نظرية النصّ على الإمامة في القرآن الكريم، وسنقوم بمراجعة مجموعة من الآيات القرآنية التي تؤكد على أنّ الإمامة لا تكون إلا بالنصّ وبتعيين من الله سبحانه وتعالى، والآيات في هذا المجال كثيرة نختار منها النماذج التالية:

#### ١ - آيات الأمر

وهي الآيات التي تدل على أنّ الأمر خاصّ بالله. يقول الله سبحانه وتعالى:  
(بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا) (٥٣).

ويقول سبحانه: (لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) (٥٤).

ومن الواضح أنّ هذه العبارة تدل على الحصر فإنّ تقديم ما حقّه التأخير كتقديم الجار والمجرور على العامل كما نجده هنا، أو تقديم المفعول على الفاعل كما في قوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (٥٥) يدلّ على الحصر. إذن فقوله سبحانه: (لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) يعني أنّ الخلق والأمر لله سبحانه وليس لغيره مطلقاً، فله الخلق والأمر ولا يشاركه في ذلك أحد.

ولننظر في الآية بكاملها كما وردت في القرآن الكريم إذ يقول سبحانه:

(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى الْإِيلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (٥٦).

وحاصل معنى الآية أنّ كلّ شيء في هذا الكون خاضع لأمره تعالى، فالخلق له والأمر له، فهو الذي يأمر وهو الذي ينهى وليس لأحد أن يأمر أو ينهى غيره. والمقصود بكون الأمر له سبحانه وتعالى أنّ السلطة والحكم بيده لا بيد غيره، فإنّ الأمر معناه السلطة والحكم ولهذا يُقال للسلطة والحكم: الإمارة ويُقال للقائد والحاكم: أمير، والآية واضحة في حصر ذلك في الله سبحانه وتعالى، وإذا كانت السلطة والإمارة بيد الله سبحانه لا بيد غيره، فهو الذي يحدّد مصير السلطة والحكم في المجتمع البشري وهو الذي يعيّن للحكم والإمارة أهلها وهو الذي يحقّ له دون غيره تعيين الحاكم والإمام والأمير.

(٥٣) الرعد: ٣١ .

(٥٤) الأعراف: ٥٤ .

(٥٥) الحمد: ٥ .

(٥٦) الأعراف: ٥٤ .



## ٢ - آيات الحكم

وهي الآيات التي تدل على أنّ الحكم لله وليس لغيره فالحكم خاص به وهو الذي يحكم وليس لغيره ذلك.

وهذا ما صرّح به قوله تعالى: (أَلَا لَهُ الْحُكْمُ) <sup>(٥٧)</sup> ، وكذلك قوله تعالى: (إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ) <sup>(٥٨)</sup> .

وقوله تعالى: (وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا) <sup>(٥٩)</sup> .

أي ليس هنالك بل ولا يمكن أن يكون هنالك شريك في حكمه. فالحكم ليس موزعاً بين الله وغيره، أو بين الشعب وبين الله. بل الحكم لله وحده، فهو الذي يعين للحكم وينصب الحاكم ليس لغيره ذلك فإنّ ذلك من شؤونه تعالى الخاصة به ولا يشاركه فيه غيره.

## ٣ - آيات الملك

وهي التي تحصر الملك في الله وحده.

(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ) <sup>(٦٠)</sup> .

فالآية هنا صريحة في أنّ الملك لله وحده وهو الذي يؤتیه من يشاء وينزعه ممن يشاء، ثم تقول الآية:

(وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ) <sup>(٦١)</sup> .

وسنرجئ الحديث عن مفهومي العزّ والذلّ اللذين وردا آخر الآية وهو بحث مهمّ له صلة قريبة جداً بمفهومي الإمامة والولاية.

وينبغي هنا أن نشير إلى أنّ منظومة المفاهيم القرآنية هي نظام معرفي شامل واسع المعاني متكامل المضامين متناسق المفاهيم كلّ مفهوم منه يكمل المفهوم الآخر ولكلّ مفهوم فيه صلة بالمفهوم الآخر وله في منظومة المفاهيم القرآنية موضعه الخاص به، وضمن هذا السياق نجد أنّ لمفهومي العزّ والذلّ صلة بالإمامة ولهما موقعهما الخاص في النظام المفهومي للقرآن الكريم، كما أن (الخير) في قوله تعالى:

(٥٧) الأنعام: ٦٢ .

(٥٨) الأنعام: ٥٧ .

(٥٩) الكهف: ٢٦ .

(٦٠) آل عمران: ٢٦ .

(٦١) آل عمران: ٢٦ .

(بَيْدِكَ الْخَيْرُ) له موقعه الخاص في النظام المفهومي للقرآن، كما أن له صلته الخاصة بالإمامة، لأنّ الإمامة هي طريق الكمال الإنساني والكمال كله وهو الخير بيد الله سبحانه وتعالى، ولا يأتي الخير للإنسان إلا من خلال نظام الإمامة، ولسنا الآن في صدد تفسير هذه الآية وتوضيح المفاهيم التي تضمنتها وإنما يهمنا الشاهد:

(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ) (٦٢).

إذ يدلّ بالصرّاحة على أنّ السلطة بيد الله سبحانه وهو الذي يؤتيها من يشاء وينزعها ممن يشاء.

وقال تعالى أيضاً:

(وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكُهُ مَنْ يَشَاءُ) (٦٣).

وفي هذه الآية نرى إضافة الملك إلى الله، وهو ما يؤكد اختصاص الملك بالله سبحانه وتعالى.

وفي هذه الآية والآيات التي في سياقها من القرائن الصريحة على نظرية النصّ في الإمامة الشيء الكثير، فقد وردت الآية في بني إسرائيل:

(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَأَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ) (٦٤).

فعبارة (ملك) صريحة في الدلالة على السلطة ولا مجال فيها للتأويل فالمراد بها هو صاحب السلطان والقائد السياسي، وقد صرّحت الآية بما لا مجال فيه لأي ترديد أن هذه السلطة أمرها بيد الله سبحانه يضعها حيث يشاء.

ونلاحظ في سياق الآية أنّ بني إسرائيل أرادوا أن يتدخلوا في قضية الملك واعترضوا على الاختيار الإلهي قائلين:

(أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ) (٦٥).

فجاءهم الردّ الإلهي على لسان نبيّهم، قائلاً:

(قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكُهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (٦٦).

(٦٢) آل عمران: ٢٦.

(٦٣) البقرة: ٢٤٧.

(٦٤) البقرة: ٢٤٧.

(٦٥) البقرة: ٢٤٧.

(٦٦) البقرة: ٢٤٧.

فليس لأحد غير الله أن يتدخل في أمر السلطة والقيادة السياسية لأن السلطة والملك لله وحده فهو الذي يختار لهما من يشاء: (وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (٦٧).

وينبغي أن يكون واضحاً هنا أن نظرية النص والتعيين الإلهي في الإمامة لا تعني إلغاء دور الأمة في السلطة، بل إن للأمة دورها الخاص بها. فالقرآن ينص ويؤكد على أن للأمة دوراً سياسياً في السلطة وهو دور القوة والقدرة، فإن السلطة السياسية إنما تكتسب قوتها وقدرتها من اختيار الناس للقيادة واطاعتهم لها ونصرتهم إياها، فما لم تنتخب الأمة قيادتها وما لم ترض بالقائد السياسي، لا يمكن لهذا القائد السياسي أن يقود الجماهير، ولا يمكن له أن يقيم عدلاً، أو يزيل ظلماً ويناهض الظالمين، فلا بد من إرادة شعبيه، تستند إليها القيادة الإلهية وتعتمد عليها، فنظرية النص الذي نقول بها هو ما ينص عليه القرآن الكريم، وهي النظرية التي ترى الحكم خاصاً بالله سبحانه فلا شرعية للحكم إطلاقاً بغير تنصيب من الله، لكن التنصيب الإلهي لا يوقر للقيادة السياسية إلا شرعيتها وعدلانيتها وللشعب موقعه الخاص في نظام الحكم هذا وهو منح القوة والقدرة للسلطة الإلهية لكي تستطيع القيام بدورها القيادي.

وباختصار نقول: معنى كون الإمامة والملك لله وحده وليس لغيره، أن شرعية الملك وشرعية القيادة السياسية لا تأتي إلا من الله سبحانه، فلا بد من النص الإلهي على القائد لكي يحق للقائد أن يمسك بزمام السلطة بين الناس، فالقائد لا يكتسب شرعية القيادة ولا الحقانية إلا بالنص الإلهي، لكن هذا القائد الحق متى يمكنه أن يقيم حكم الله في الأرض ويقود الناس؟

إنما يتمكن من ذلك بإرادة من الشعب، فدور الشعب أو الأمة هو دور التمكين والنصرة، أما الإمامة فلا تكتسب شرعيتها إلا من الله سبحانه.

ومن آيات الملك أيضاً قوله تعالى:

(لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) (٦٨).

(وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ

فِي الْمُلْكِ) (٦٩).

(٦٧) البقرة: ٢٤٧.

(٦٨) البقرة: ١٠٧.

فكما لا يقبل شريكاً في حكمه كما قال، ولا يُشرك في حكمه أحداً، كذلك لا يقبل الشريك في الملك وقال تعالى:

(تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٧٠) .

وقال تعالى: (فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ) (٧١) .

فالملك الحق هو الله سبحانه دون سواه، وكل ملك لا يكون معيناً من قبله لا يكون حقاً، قال تعالى:

(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ \* مَلِكِ النَّاسِ) (٧٢) . فالله سبحانه هو الملك الذي بيده السلطة والحكم وهو الذي يوتي ذلك من يشاء.

#### ٤ - آيات الولاية

هي التي تدل على أن الولاية بيد الله وهي كثيرة منها قوله تعالى:

(مَالَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا) (٧٣) .

ومن الجدير أن نشير إلى أن القرآن الكريم استعمل كلّ التعابير والمصطلحات التي يمكن أن تدل على اختصاص السلطة والحكم بالله سبحانه ممّا يشير إلى الإهتمام البالغ الذي أولته العناية الإلهية لقضية الحكم أولاً وباختصاصه بالله سبحانه وتعالى ثانياً، وبضرورة التعيين الإلهي في ذلك ثالثاً .

وقال تعالى:

(أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ) (٧٤) .

فالولاية له خاصة على الناس أجمعين وهو الذي يعين للناس من يتولى أمورهم ومن هنا قال سبحانه وتعالى:

( إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ \*

وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) (٧٥) .

(٦٩) الإسراء: ١١١ .

(٧٠) الملك: ١ .

(٧١) طه: ١١٤ .

(٧٢) الناس: ١ - ٢ .

(٧٣) الكهف: ٢٦ .

(٧٤) الشورى: ٩ .

وقال تعالى:

(ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ) (٧٦) .

فالمولى أو الولي الحق هو الله وليس يشركه في ولايته غيره، والآيات بهذا المعنى كثيرة.

## ٥ - آيات الطاعة

وهي على قسمين:

القسم الأول: وهي الآيات التي تأمر بطاعة الله والرسول مطلقة من غير استثناء، كقوله تعالى: ( أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ) (٧٧) ، وقوله: ( مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ) (٧٨) .

وأمثال هذه الآيات التي تدل على أن طاعة الله وطاعة الرسول واجبة مطلقاً، وهناك آيات دلت بنفس العبارة على وجوب طاعة أولي الأمر أيضاً طاعة مطلقة كقوله تعالى: ( أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ) (٧٩) فالآية تدل على أن وجوب الطاعة للرسول ولأولي الأمر وجوب مطلق عام يشمل كل ما يأمر به أو ينهاه عنه، فهي طاعة مطلقة.

وهذا يدل على أن الولي لا بد أن يكون معصوماً لا يتخلف عن أمر الله قيد أنملة حتى تجب طاعته طاعة تامة من غير استثناء. فلا بد أن يكون منصوباً من قبل الله سبحانه وتعالى، لأن الله هو الذي يعرف الإنسان المعصوم، والعصمة بيد الله وليست بيد غيره، قال تعالى:

(فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى) (٨٠) .

(٧٥) المائدة: ٥٥ - ٥٦ .

(٧٦) الأنعام: ٦٢ .

(٧٧) النساء: ٥٩ .

(٧٨) النساء: ٨٠ .

(٧٩) النساء: ٥٩ .

(٨٠) النجم: ٣٢ .

وقال: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ) (٨١).

فالعصمة بيد الله والطاعة له، فإذا كان الأمر بطاعة أولي الأمر مطلقاً والطاعة طاعة مطلقة دلّ ذلك على وجوب تعيين ولي الأمر، والدلالة عليه من قبل الله سبحانه تعالى لأنه وحده الذي يعلم السرائر والمكنونات، وهو الذي يعلم المعصوم الطاهر من غيره.

القسم الثاني من الآيات: وهي التي تدلّ على وجوب الردّ إلى أولي الأمر، فكلّ أمر يختلف فيه يُردّ إلى أولي الأمر كما يُردّ إلى الرسول (صلى الله عليه وآله)، يقول سبحانه وتعالى:

(وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ...) (٨٢).

وفي آية أخرى:

(فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) (٨٣).

إذن فلا بدّ في كلّ أمر يتنازع فيه أن يُردّ إلى الله والرسول، وكلّ فعل اختياري يقبل التنازع كما ذكرنا في بداية الحديث فإنّ التنازع وارد في كلّ أمر اختياري.

تدلّ هاتان الآيتان على أنّ الأمر كما يجب رده إلى الله وإلى الرسول كذلك يجب رده إلى أولي الأمر. إذن فمن يكون من أولي الأمر لا يُتنازع في أمره، ولا يكون كلامه إلّا حقاً، لأنه هو المرجع عند التنازع، فلا بدّ أن يكون هو المعيار الذي به يعيّن الحقّ عن غيره وهو الفيصل بين الحقّ والباطل فلا بدّ أن يكون معصوماً منصوباً من قبل الله سبحانه وتعالى:

## ٦ - آية الاختيار

(٨١) النساء: ٤٩ .

(٨٢) النساء: ٨٣ .

(٨٣) النساء: ٥٩ .

قال تعالى: (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ\* وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ\* وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)<sup>(٨٤)</sup> فهو يخلق وهو يختار .

نلاحظ هنا المقارنة بين الاختيار والخلق، فكما هو إله في الخلق ولا يشركه في الخلق إله غيره، كذلك هو إله في الاختيار، يعني هو الأساس في الاختيار فلا يشركه في الاختيار غيره، أي إنه سبحانه وتعالى هو الذي يختار للإنسان، ويعين له ما هو الخير وما هو الحق، فكل أمر اختياري يختاره الإنسان خيرته بيد الله، فالإنسان لا بد أن يتبع في كل أمر اختياري في حياته أمر الله ونهيه، وأن تكون الخيرة في حياة الإنسان بيد غير الله هو شرك بالله سبحانه وتعالى.

مجموع الآيات المتقدمة تنصّ بوضوح على أنّ السلطة بيد الله وأنّ الخيرة في أمر الإنسان بيد الله ليس بيد غيره يقول تعالى: (مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ)<sup>(٨٥)</sup> ، وإذا لم تكن الخيرة لهم في ما يفعلون بل الخيرة لله سبحانه، فلا خيرة لهم في أمر الإمامة والقيادة وهي من أهمّ الأمور التي يحتاج الناس فيها إلى خيرة الله سبحانه وتعالى.

وهنا يرد سؤال:

نرى كيف نفهم آية الشورى؟ حيث يقول: (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ)<sup>(٨٦)</sup>. لعلّ ما يتبادر إلى الذهن أن آية (مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) تعارض آية الشورى ولكننا بشيء من التأمل نستطيع أن نفهم عدم التعارض بين الآيتين، لأن آية الخيرة تدل بوضوح على أنّ مصدر القرار في المجتمع هو الله سبحانه ولا قرار بيد غيره، وهذا يشمل أمر الإمامة فيكون أمرها بيد الله سبحانه، فهو الذي يعين لها من يشاء، كما فعل بالنسبة إلى رسول الله، فقد اختاره الله إماماً للناس كما اختار إبراهيم والصالحين من ذريته، أما آية الشورى فإنّها تدل على أنّ صاحب القرار الشرعي ينبغي أن يستشير غيره في اتخاذ القرار، فإذا نصب الله سبحانه إماماً

(٨٤) القصص: ٦٨ - ٧٠ .

(٨٥) القصص: ٦٨ .

(٨٦) الشورى: ٣٨ .

على الناس كرسول الله (صلى الله عليه وآله) فإنّ عليه أن يشاور المؤمنين في ما يريد أن يتخذ من قرار، ثم إن القرار النهائي بيده هو بعد المشورة فله أن يتخذ القرار الذي يخالف رأي أصحاب المشورة، إذا رأى أن آراءهم لا توافق الحقّ والمصلحة وهذا هو معنى الشورى في اللغة، فليس معنى هذه الكلمة إلا تبادل الرأي مع الآخرين تمهيداً لاتخاذ القرار من قبل من له شرعية القرار ولا دلالة في آية الشورى على أنّ الشورى هي صاحبة القرار، بل إنّ كلمة الشورى لا تنسجم مع هذا المعنى إطلاقاً، ولذلك نجد الآية الأخرى تأمر رسول الله بالشورى فنقول:

(وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) (٨٧) .

فتأمر الرسول بالمشورة ثم تترك له حقّ القرار والعزم، فرسول الله هو صاحب القرار الذي تجب على المؤمنين اطاعته واتباعه ولكن برغم ذلك فهو مأمور بالمشورة معهم قبل اتخاذ القرار.

فالشورى لا يمكن أن تكون مصدر قرار بل هي عبارة عن تبادل الآراء مع الآخرين واختبارها تمهيداً لاتخاذ القرار.

ولا نتحدث آية الشورى عمّن يتخذ القرار فقله تعالى: (وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ) تعني أن عليهم أن يتشاوروا في ما يعرض لهم من الأمر قبل اتخاذ القرار، لكنّها لا تتعرّض لمن يصلح أن يكون صاحب القرار.

وآية الخيرة تقول أن الخيرة بيد الله والقرار بيد الله، فلا بدّ أن يكون القرار والتعيين من ربّنا، ثم الذي يعينه الله سبحانه - وهو الذي يصفه القرآن بأنّه أولى بالمؤمنين من أنفسهم أو (أولي الأمر) - عليه أن يستشير الآخرين من المؤمنين في ما يريد أن يتخذه من قرار.

فقله تعالى: (وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ) أي لا بدّ أن يستنبروا بآراء بعضهم حينما يريدون اتخاذ القرار وهذا يشمل شؤون الإنسان في حياته الشخصية فعليه أن يستشير الآخرين وأن يستنبر بآرائهم ولكن القرار بيده نفسه وليس بيد الشورى، فإنّ استشرت جهة ما فليس هذا يعني أنّ القرار بيد الجهة تلك التي تستشيرها، بل القرار بيدك أنت وأنت تستشير الجهة وتستنبر برأيها.



فقله تعالى مخاطباً نبيه(صلى الله عليه وآله) : (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) .

تدل على أن القرار ليس بيد من استشيروا وإنما هم أصحاب شورى، الأمر الذي بيدهم والموكول إليهم هو أن يشيروا إذا استشيروا، فالشورى تكون مع الناس لكن القرار بيد الله سبحانه وتعالى ومن ينصبه. فإذن لا تعارض بين آية الشورى وآية الاختيار.

## ٧ - آية التحكيم

قال تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)<sup>(٨٨)</sup> .

وهذه الآية تدل على وجوب تحكيم الرسول في كل ما شجر بين المؤمنين وفي كل اختلاف بينهم فلا تختص بالحكم والقضاء، بل في كل أمر يختلف فيه، فهي مطلقة، وتدل على وجوب التحكيم إلى الرسول في كل أمر وفي كل زمن وعلى كل المسلمين.

فليست هذه الآية خاصة بالذين عاصروا الرسول(صلى الله عليه وآله) وشاهدوه، بل إن التحكيم إلى الله والرسول شرط الإيمان في كل زمان وعلى كل طائفة من المسلمين، وليس خاصاً بزمن الرسول(صلى الله عليه وآله) فكل مؤمن وفي كل عصر لا يؤمن حتى يحكم الرسول في كل أمر يختلف فيه.

وكيف يتم تحكيم الرسول في ما بعد وفاته(صلى الله عليه وآله)؟ .

فلو كنا نعيش مع الرسول(صلى الله عليه وآله) في عصره وكنا نعيش في اليمن مثلاً كيف كنا نحكم الرسول(صلى الله عليه وآله) حيث لا تصل أيدينا إليه؟، كنا بالطبع نحكم من يعينه الرسول حاكماً علينا.

وقد كان أهل اليمن يحكمون الرسول(صلى الله عليه وآله) آنذاك وكان يبعث إليهم أمير المؤمنين(عليه السلام) أو معاذ بن جبل مثلاً وكانوا بتحكيمهم لأمير المؤمنين(عليه السلام) أو معاذ قد حكموا الرسول(صلى الله عليه وآله) وعملوا بهذه الآية المباركة.

هذا في ظرف البعد المكاني، وكذلك في ظرف البعد الزماني فلا بدّ من تحكيم من عيّنه الرسول ونصبه إماماً للناس ومرجعاً يرجعون إليه بعده (صلى الله عليه وآله)، فعلينا ونحن نبتعد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بزمان كثير أن نحكم رسول الله في كلّ ما يعرض لنا من أمر، وذلك بأن نرجع إلى من أمرنا الرسول (صلى الله عليه وآله) بالرجوع إليه ونصبه وليّاً علينا وإماماً بين المسلمين، ويكون رجوعنا إليه وتحكيمنا له رجوعاً إلى رسول الله وتحكيمياً له (صلى الله عليه وآله) .

#### ٨ - آيات الإيتاء

وهي الآيات التي وردت بصيغة الإيتاء، مثل قوله تعالى:

(وَاللّٰهُ يُؤْتِي مُلْكُهُ مَن يَّشَاءُ) <sup>(٨٩)</sup> .

وأمثال هذه الآية كثيرة كقوله تعالى:

(قُلِ اللّٰهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ) <sup>(٩٠)</sup> .

وقوله تعالى: (فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَٰهٖمَ الْكِتَٰبَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا) <sup>(٩١)</sup> .

وكلمة «الإيتاء» في اللغة لا تستعمل إلا عندما يكون المؤتي مالكا للشيء، وكلّ آيات الإيتاء تدلّ على اختصاص الملك بالله سبحانه وأنه هو الذي يؤتيه من يشاء وليس لغيره أن ينال من هذا الملك إلا بإيتاء الله سبحانه ذلك إيّاه، وهذا ما يدلّ عليه نفس التعبير بالإيتاء بعد حصر الملك في الله سبحانه وتعالى كما في قوله سبحانه: (قُلِ اللّٰهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ) .

ثم إنّ الآيات التي تعرّضنا للبحث عنها إنّما هي بعض ما يدلّ على تعيين الإمام بالنصّ الإلهي وهناك آيات كثيرة أخرى لم نتعرّض لها طلباً للاختصار.

ثم إنّ كثيراً من هذه الآيات كقوله:

(وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ) <sup>(٩٢)</sup> .

وكذلك قوله تعالى:

(أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) <sup>(٩٣)</sup> .

(٨٩) البقرة: ٢٤٧ .

(٩٠) آل عمران: ٢٦ .

(٩١) النساء: ٥٤ .

(٩٢) النساء: ٨٣ .

(٩٣) النساء: ٥٩ .

تدلّ على أنّ الإمامة بعد رسول الله كانت قد تعيّنت في زمن الرسول نفسه، وأنّ المؤمنين كلّوا وأمروا بطاعة هذا الإمام الذي عيّنه الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وكان واجباً فعليّاً حتى في زمن الرسول نفسه أن يرجع المؤمنون إلى هذا الإمام عند غياب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأن رجوعهم إلى الإمام المنصوب المعيّن من قبل الله ورسوله كان رجوعاً إلى الله ورسوله، وهذا هو التشييع فليس معنى التشييع إلا الرجوع إلى الله ورسوله ثم الأئمة الذين عيّنهم الله ورسوله مرجعاً للأمة بعد رسول الله، وهذا هو الذي أمر به الله ورسوله، فالتشييع في واقعه هو الطاعة الكاملة للقيادة الربّانية المتمثلة في رسول الله وخلفائه المعصومين، وهذا هو الإسلام بعينه، فليس التشييع شيئاً غير الإسلام المحض والاتباع الكامل لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، كما أنّ التشييع لم يكن أمراً استحدث بعد رسول الله بل التشييع عبارة عن الإسلام والإيمان الكامل، الذي كان عليه خيار صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في زمن الرسول وبعد رحيله إلى الرفيق الأعلى.

وما ذكرناه من أنّ التشييع كان حقيقة قائمة في زمن رسول الله متمثلاً في خيار صحابة الرسول (صلى الله عليه وآله) نجده واضحاً في كثير من آيات الكتاب العزيز كقوله تعالى:

(وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ)<sup>(٩٤)</sup> .

وهذه الآية تدل على واقع في زمن الرسول (صلى الله عليه وآله). إذ تدل على أنه كان في زمان الرسول (صلى الله عليه وآله) مؤمن أو مؤمنون قد أمر الله بالرجوع إليهم بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنّ أناساً من المؤمنين كانوا فعلاً يرجعون بعد رسول الله إلى هؤلاء الذين أمر الله بالرجوع إليهم وقد كان هؤلاء الذين عبّر الله عنهم بـ (أولي الأمر) مرجعاً للمسلمين بعد رسول الله في عصر الرسول نفسه، وهذا مانجده بوضوح في الآية التي ذكرناها:

(وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ)<sup>(٩٥)</sup> .

(٩٤) النساء: ٨٣ .

(٩٥) النساء: ٨٣ .

إذن فأولوا الأمر كانوا أشخاصاً معينين معلومين في عصر الرسول أمر الله عباده المؤمنين بردّ الأمر إليهم ووصفهم بأنهم يعلمون ذاك الأمر وهذا ما أكّدته آيات أخرى من الكتاب العزيز كقوله تعالى:

(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (٩٦).

والخطاب في الآية موجّه لعامة المؤمنين، ولا تخاطب الآية المنافقين والكافرين أو المشركين، فالآية تقول لا تتركوا أنتم المؤمنون، فانتم تفتنون وتختبرون حتى يُعرف الذي هو في خطّ الله وفي خطّ الرسول وخطّ المؤمنين، وهم الذين أمر الله سائر المؤمنين باتّباعهم والسير على نهجهم، فليس المُبتلى والمُبتلى به شيء واحد، فالمُبتلى هم عامة المؤمنون والمُبتلى به أو الباب الذي بسلوكه يُختبر المؤمنون هو شيء خاصّ وأناس مخصوصون من بين المؤمنين، والوليّة هي المدخل والطريق الذي يُسلك، والآية تقول نمتحنكم ونفتنكم ونختبركم حتى يُعرف من الذي يبقى في خطّ الله وخطّ الرسول (صلى الله عليه وآله) وفي خطّ المؤمنين، وهؤلاء المؤمنون المقصودون هنا هم نفس المؤمنين الذين قال تعالى عنهم في الآية:

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) (٩٧).

ويبدو أنّ هناك إصراراً من القرآن الكريم على أن لا يُذكر الاسم، بل ينصّ نصّاً يدلّ على الإمام بعد الرسول بالكناية والإشارة، وحكمة ذلك معلومة واضحة ويدلّ عليه الواقع الذي مرّت به الأمة الإسلامية بعد عصر الرسول (صلى الله عليه وآله)، وخاصة في زمن الحكم الأموي والعبّاسي، فلو كان القرآن قد صرّح باسم عليّ (عليه السلام) وأسماء الأئمة من بعده لمزّق القرآن تمزيقاً في حياة الرسول نفسه، كما أنّ العترة التي أوصى بها مزقت تمزيقاً بعد حياته، أليس الحسين (عليه السلام) من ذريّة الرسول (صلى الله عليه وآله) الذين أوصى بهم القرآن الكريم:

(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (٩٨)؟

(٩٦) التوبة: ١٦ .

(٩٧) المائدة: ٥٥ - ٥٦ .

(٩٨) الشورى: ٢٣ .

أليس التاريخ القطعي وخاصة في القرنين الأول والثاني بعد الرسول يحدّثنا عن القتل الذريع لذرية النبي؟ أليس هؤلاء هم القربى الذين مُزّقوا وقُطِعوا إرباً؟ ولو كان القرآن قد ذكر اسم عليّ (عليه السلام) صراحة لمُزّق القرآن ولم يبقَ منه أثر أبداً، فحكمة الحفظ كما قال سبحانه:

( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ )<sup>(٩٩)</sup> . دعت إلى أن يدلّ القرآن على الحقّ وعلى الإمام بالطريقة التي تحول دون تحريف القرآن والمسّ بكرامته، فمن أراد الحقّ في الإمامة ورجع إلى القرآن لوجد الحقّ واضحاً لا لبس فيه بين آيات القرآن والسنة الثابتة عن رسول الله فيتبعه، ولم يدع الله سبحانه ذريعة بيد الانتهازيين والمعاندين والمغرضين لينالوا من كرامة القرآن، فحافظ الله على سلامة القرآن من جهة، ودلّ على الحقيقة من جهة أخرى، وهذا هو السبب في ما نجده في القرآن من استعمال أسلوب الكناية في التدليل على الإمام من بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) . ومن الآيات التي تدلّ على تعيين الإمام الذي يلي أمر المسلمين بعد الرسول في زمن الرسول نفسه قوله تعالى:

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)<sup>(١٠٠)</sup> .

فقد أجمع المسلمون على نزول هذه الآية في الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) عندما تصدّق بخاتمه على مسكين وهو راکع في الصلاة<sup>(١٠١)</sup> . وهي تدلّ على أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان إماماً واجب الطاعة في زمن الرسول (صلى الله عليه وآله) فإنّ قوله تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ) يدلّ على أنّ هذه الولاية ثابتة لهؤلاء في عصر نزول الآية، وبهذا تكون الآية دالة على تعيين أمير المؤمنين للإمامة في عصر الرسول (صلى الله عليه وآله)، كما أنها تفسّر سائر الآيات التي أشرنا إليها سابقاً والتي تدلّ على وجود مرجع للمسلمين بعد رسول الله، أمر الله المؤمنين بالرجوع

(٩٩) الحجر: ٩ .

(١٠٠) المائدة: ٥٥ .

(١٠١) راجع كتب التفسير من العامة والخاصة، تجد أنّ الروايات متواترة في نزولها في عليّ (عليه السلام)، راجع على سبيل المثال: تفسير الطبري: ١٨٦/٦، وأسباب النزول للواحدي: ١٢٣ - ١٣٤، وشواهد التنزيل: ١٦١/١ - ١٦٤، والسيوطي في تفسيره: ٢٩٣/٢، ولباب العقول في أسباب النزول: ٩٠ .

إليه، وجعل اتّباعه واجباً على عامّة المسلمين وجعل ذلك ميزاناً يختبر به إيمان المؤمنين.

ومن الآيات الدالة على وجوب الرجوع إلى الإمام عليّ (عليه السلام) في زمن الرسول (صلى الله عليه وآله) قوله تعالى:

(أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (١٠٢).

تدلّ هذه الآية على وجوب طاعة أولي الأمر إلى جانب طاعة الله والرسول ثم أنّ التعبير بـ (منكم) تصريح بأنّ أولي الأمر متمثل في شخصيّة حيّة قائمة بالفعل تجب طاعته.

وهذه الآية تنفي نظرية الاختيار بصراحة لأنها تدل على وجوب طاعة وليّ الأمر في زمن الرسول (صلى الله عليه وآله). ممّا يعني أن وجود وليّ الأمر وتعيينه كان قد فرغ منه آنذاك، ولم يترك شاغراً ليصل الدور إلى اختيار الناس. ثمّ إنّ التأكيد القرآني على الرجوع إلى أولي الأمر عند التنازع يدلّ بنفسه على أنّ الله لم يهمل أمراً يمكن أن يتنازع فيه المسلمون من دون أن يعيّن لهم مرجعاً فاصلاً يرجعون إليه فيه، فلا يعقل ترك أمر الإمامة - وهو من أهم ما يتنازع فيه، وقد حصل التنازع فيه بين المسلمين فعلاً بأشد أنواعه - من دون أن يُفصل فيه، ولا يتصور أن يُترك باب النزاع بين المسلمين في أمر الإمامة مفتوحاً على مصراعيه.

ثم إنّ هناك آيات تدل على أنّ الإمام المنصوب من قبل الله سبحانه ليس إلاّ معصوماً من الذنوب كقوله تعالى:

(وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) (١٠٣).

والظلم هو المعصية والخروج عن طاعة الله كما قال سبحانه:

(وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) (١٠٤).

فالآية تدلّ على أنّ الظالم الذي يعصي لا يستحقّ الإمامة فالظالم الواقعي وإن كان لا يعرف الناس ظلمه لا يكون إماماً (قال لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) أي لا ينال عهدي من يكون ظالماً في واقع الأمر حتى وإن كان الناس لا يعرفون ظلمه بأن استطاع أن

(١٠٢) النساء: ٥٩ .

(١٠٣) البقرة: ١٢٤ .

(١٠٤) الطلاق: ١ .

يخفي ظلمه عن الناس كالمنافق الذي لا يعرف ظلمه وهذا ما لم يمكن معرفته إلا بدلالة من الله سبحانه وتعالى.

ومن الآيات التي تدل على أن الإمام لابد أن يكون معصوماً قوله تعالى:  
(أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) (١٠٥).

فكل من يحتاج إلى هداية غيره فلا يحق للناس أن يتبعوه، بل الحقيقي بالاتباع هو الذي يهدي ولا يحتاج إلى أن يهدي غيره ولا شك أن غير المعصوم يحتاج لكي يهدي غيره فلا يكون جديراً بالاتباع والإقتداء.

وإذا ثبت وجوب أن يكون الإمام معصوماً، يثبت وجوب أن يعينه الله سبحانه وتعالى لأنه هو الذي يعرف سرائر الناس ويعرف الظالم عن غيره، ومن هو مهتد في جميع أحواله ولا يحتاج إلى هداية غيره عمّن لا يهدي إلا أن يهدي.

\* \* \*

## المبحث الثالث

### ● النصّ على الأئمة في القرآن الكريم

- من آيات النصّ العام على الأئمة على مدى التاريخ
- من آيات النصّ على الأئمة من آل إبراهيم (عليه السلام)
- استجابة الله لدعاء إبراهيم (عليه السلام)

### ● ملاكات الاصطفاء الإلهي

- الاصطفاء الإلهي، فردي وأسري
- الاصطفاء قائم على أساس الكفاءة والمؤهلات
- المحسودون في آية (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)

### ● انتقال الإمامة إلى آل محمد (صلى الله عليه وآله)

- انتزاع الإمامة من آل إسحاق
- انتقال الإمامة إلى البقية من آل إبراهيم من إسماعيل وهم آل محمد (عليهم السلام)

### ● إمامة أهل البيت (عليهم السلام)

- الآيات التي نصّت على إمامة الأئمة من أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله)
  - الحكمة الإلهية في اعتماد القرآن أسلوب الإشارة والوصف للدلالة على
- أئمة أهل البيت (عليهم السلام)

- آية الولاية - آية التطهير - آية القربى - آية التبليغ - آيات الشهادة
- الله في كلّ أمة شهيد - مواصفات الشهداء
- شهادة الرسول (صلى الله عليه وآله) على المسلمين في عصر النبوة
- الشاهد التالي لرسول الله (صلى الله عليه وآله)





## المبحث الثالث النصّ على الأئمة في القرآن الكريم

في المبحث الأول تحدّثنا عن مفهوم الإمامة في القرآن الكريم، وانتهينا إلى أن مفهوم الإمامة في القرآن عبارة عن قيادة الإنسان نحو الكمال المطلوب في كلّ أفعاله الاختيارية، وفي المبحث الثاني تعرّضنا إلى أن منصب الإمامة منصب إلهي يختار الله له من يشاء وليس باختيار الناس أو بتعيين منهم واستشهدنا بآيات كثيرة في القرآن الكريم تؤكد على هذه النظرية، نظرية النصّ والتعيين الإلهي.

وهنا نبحت باختصار موضوع النصّ على الأئمة في القرآن الكريم. لقد مارس القرآن الكريم عملية النصّ على الإمام أو على الأئمة (عليهم السلام) في صيغ كثيرة متنوعة، ربّناها ضمن صيغ ثلاث من التعيين.

الصيغة الأولى: هي الآيات التي دلّت على الأئمة على مدى التاريخ، إذ أكدت على أن هنالك أئمة نصبوا من قبل الله سبحانه وتعالى على مدى تاريخ البشرية، وأنّ الله سبحانه وتعالى أمر الناس بطاعتهم.

الصيغة الثانية: من آيات النصّ، هي الآيات التي دلّت على الأئمة من آل إبراهيم، وأكدت على استمرار الإمامة الإلهية في ذريّة إبراهيم ونسله على مدى التاريخ.

الصيغة الثالثة: هي النصوص الدالة على تعيين الأئمة بعد رسول الله في أهل بيته وهم عليّ (عليه السلام) ورجال مخصوصون من ذريّته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

ضمن هذه الصيغ الثلاث من التعيين نتابع البحث عن الإمامة في القرآن الكريم، ولا يفوتنا أن نشير إلى أن النصوص على الإمامة في السّنة الشريفة كثيرة متواترة، وبصيغ وعبارات شتى، ولكن الذي نبحت عنه هنا هو نماذج من النصوص القرآنية حول الإمامة، ولا نقصد بذلك استيعاب النصوص القرآنية، وإنما إلقاء الضوء على نماذج منها واستجلاء الصورة العامّة عن النصّ على الإمامة كما هي في القرآن العظيم.

والواقع أن نصوص السنة النبوية حول الإمامة هي بدورها نوع آخر من النصّ القرآني حول الإمامة لأنّ السنة النبوية ليست في واقعها إلا تفسيراً لآيات القرآن الكريم من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ النصوص القرآنية الصريحة في وجوب اطاعة النبيّ (أَطِيعُوا الرَّسُولَ) والمؤكدّة على أنه (صلى الله عليه وآله) (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) (١٠٦) تجعل من نصوص السنة المتواترة حول الإمامة نصوصاً إلهية راجعة في روحها وجوهرها إلى نصّ القرآن الكريم.

أما النماذج القرآنية من النصّ على الإمامة بصيغها الثلاث فهي كما يلي :

الصيغة الأولى: النصّ العام على الأئمة على مدى التاريخ وهي تدلّ على أن الله نصب للبشرية أئمة في كلّ زمان.

١ - قال تعالى:

(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) (١٠٧) .

ففي كلّ أمة على مدى التاريخ بعث الله رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت. والمقصود بالعبادة في هذه الآية كما هو واضح، وكما هو معناها اللغوي إنّما هو الخضوع التامّ لله سبحانه، وهو يشمل كلّ الأفعال الإرادية للإنسان، وقد ذكرنا أنّ الإمامة في القرآن الكريم تعني قيادة الإنسان في أفعاله الإرادية نحو الكمال الذي هو الخضوع التامّ لله سبحانه وتعالى فالإمامة في واقعها إمامة الناس في عبادة الله سبحانه في كلّ شؤونهم، وهذا هو الذي يقف على النقيض من الطّاغوت ويعارضه وينافيه فإنّ معنى الطّاغوت: الكثير الطغيان الذي يدعو الناس إلى الخروج عن طاعة الله، ومصاديقه هم إبليس وأئمة الكفر والضلال وقادة السياسات الظالمة وجميع أصحاب القوة والنفوذ الذين يصدّون عن سبيل الله ويدعون إلى غير حكمه.

ويمكننا أن نرجع إلى القرآن نفسه لنحدّد من خلال آياته الأخرى مفهوم الطّاغوت من جهة ومفهوم العبادة من جهة أخرى.

قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ

أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ) (١٠٨) .

وقد سبقت هذه الآية قوله تعالى:

(١٠٦) النجم: ٣ - ٤ .

(١٠٧) النحل: ٣٦ .

(١٠٨) النساء: ٦٠ .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (١٠٩) .

فالطاغوت حسب هذه الآية والآيات الأخرى التي في سياقها هو كل حاكم غير الله سبحانه وتعالى، وكل من يدعو إلى الحاكمية غير الإلهية ، فمعنى قوله تعالى: ( وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ) (١١٠) .

أننا بعثنا في كل أمة قادة إلهيين، سياسيين، يحكمون بما أمر الله ويدعون الناس إلى عبادة الله والخضوع لحكمه ورفض حكومة الطواغيت وعدم الخضوع لهم. ٢ - وقال تعالى:

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ) (١١١) .

وهذه الآية هي الأخرى صريحة في أن الله سبحانه نصب الرسل على مدى التاريخ قادة وحكاماً على الناس وأمرهم بالطاعة والانقياد لهم، فما من رسول إلا بعثه الله لكي يُطاع أي ليكون قائداً مطاعاً، وهنا إشارة جميلة في هذه الآية وهي عبارة: (بِإِذْنِ اللَّهِ) إذ أنها تدل على أن هذه الطاعة هي طاعة حكومة وليست طاعة تبليغ، فهي طاعة للرسل بما أنه قائد وحاكم وليست طاعة للرسل بمحض كونه مخابراً عن الله ومبلغاً لأمره ونهيه فقله تعالى: (بِإِذْنِ اللَّهِ) يعني الإذن من الله بأن تكون له الطاعة، أي نصبه ليكون مطاعاً، وهذا تعبير صريح في أن هذه الطاعة طاعة حكم وطاعة قيادة وإمارة وليست تبليغاً فقط، وإلا لكان الأولى أن تقول الآية: (وما أرسلنا من رسول الله إلا ليُطاع الله) (١١٢) .

٣ - وقال تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) (١١٣) .

تقول الآية ما معناه: لقد أرسلنا على مدى تاريخ البشرية رسلنا بالبيّنات والكتاب والميزان، وكانت مهمّتهم جميعاً إقامة حكم الله في الأرض وإقرار العدل بين الناس.

(١٠٩) النساء: ٥٩ .

(١١٠) النحل: ٣٦ .

(١١١) النساء: ٦٤ .

(١١٢) النساء: ٦٤ .

(١١٣) الحديد: ٢٥ .

والكتاب في قوله تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ) هو القانون والدستور الإلهي، فإنّ الكتاب في اللغة بمعنى المكتوب، والمكتوب من الكتابة وهي الوجوب والثبوت، فيُراد من الكتاب أوامر الله ونواهيه الثابتة اللازمة.

والمقصود بالميزان، ما تُوزن به الأشياء ليميّز به سليمها عن سقيمها، وصحيحها عن فاسدها، والمراد هنا بالميزان ميزان الأفعال وليس ميزان الأشياء، وميزان الأفعال هو الميزان الذي به يميّز العدل من الأفعال عن ظلمها، والحقّ منها عن باطلها، وليس ذلك إلا ملكة العدل، وقوّة العصمة التي اتّصفت بها شخصية الأنبياء بهداية من الله ورعاية منه. والحاكم يحتاج إلى هاتين القوتين، يحتاج إلى معرفة بالقانون وإلى ملكة العدل حتى يصبح سلوكه وتصرفاته وممارساته كلّها موافقة للعدل وليتمكن من إقامة حكم الله وتطبيق شريعته.

٤ - وقال تعالى: (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ\* وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ\* وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ\* وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ\* ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبَطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ\* أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوْنَ بِهَا بِكَافِرِينَ\* أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبْهَتَاهُمْ أَفَتَدْرِيْهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) (١١٤).

في هذه الآيات تأكيد على أن الله قادة نصبهم على مدى التاريخ، وقد اجتباهم الله واختارهم وآتاهم الكتاب والحكم والنبوة من نوح (عليه السلام) إلى رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله). يقول تعالى ما معناه: هؤلاء الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة وبعثناهم قادة للناس جاءوا ليحكموا الناس بالعدل على مدى التاريخ من دون اختصاص بفترة زمنية دون غيرها. فالإمامة الإلهية لا تختصّ بفترة زمنية محدّدة بل هي مستمرة على طول تاريخ البشرية.

الصيغة الثانية: آيات النصّ على الأئمة من آل إبراهيم (عليه السلام). والآيات في ذلك كثيرة ومتنوعة:

١ - فمنها: ما دلت على بشارة الله لإبراهيم بجعله وذريته أئمة صالحين يهدون بأمر الله، استجابة لدعائه الذي دعاه وهو في شبابه وفي أوج صراعه مع المشركين والكافرين من قومه ومع أبيه بالذات، قال تعالى:

(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ \* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ \* قَالُوا نُعْبُدُ أَصْنَامًا فَنُظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ \* قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ \* أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ \* قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذًا لِكَ يَفْعَلُونَ \* قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ \* أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ \* فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ \* الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ \* وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ \* وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشفِينِ \* وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ \* وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ \* رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَ الْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ) (١١٥) .

وهذا الدعاء دعا به إبراهيم (عليه السلام) ربّه عندما كان شاباً وكان أبوه حياً وكان في صراع مع قومه وأبيه، وكان إذ ذاك في بابل فقد سأل الله أن يهب له حكماً وأن يجعله إماماً يحكم بين الناس بالحق ويهديهم إلى عدل الله وصراطه المستقيم وقد قرن دعاءه هذا بدعاء آخر وهو أن يرزقه الله ذريةً صالحةً تواصل دربه وتحمل رسالته إلى الأجيال كافة فقال:

(وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ) (١١٦) .

وفي آية أخرى:

(رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَ الْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ) (١١٧) .

وقد أشار الله إلى استجابته لدعائه هذا بقوله تعالى:

(وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) (١١٨) .

ويبدو أن الحكم والإمامة هو المقصود بأجره في الدنيا فقد جاء تفسير الأجر الإلهي في الدنيا بالحكم والملك في قوله تعالى عند حكاية قصة يوسف على نبيّنا وآله وعليه السلام:

(وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) (١١٩) .

(١١٥) الشعراء: ٦٩ - ٨٣ .

(١١٦) الشعراء: ٨٤ .

(١١٧) الشعراء: ٨٣ .

(١١٨) العنكبوت: ٢٧ .

(١١٩) يوسف: ٥٦ .

وقد كان الإمام الخميني رضوان الله عليه يفسر قوله تعالى في الدعاء: (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) (١٢٠) أَنَّ حَسَنَةَ الدُّنْيَا تعني الإمامة والسلطة والملك الذي يؤتاه الله لعباده الصالحين فيقيمون به حكم الله على وجه الأرض وينشرون به العدل ويطهرون به أرض الله من الشرك والظلم.

٢ - ومنها: قوله تعالى: (وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) (١٢١).

في هذه الآية طلب من إبراهيم (عليه السلام) إلى ربه أن يجعل الإمامة في ذريته، وسؤال الأنبياء عن الله وطلبهم منه مأذون به من قبل الله سبحانه وتعالى، أي أنهم لا يطلبون إلا ما يعلمون برضى الله به وإذنه لهم بطلبه وسؤاله.

فقد أذن لإبراهيم أن يدعو الله بجعل الإمامة في ذريته، والله سبحانه حكيم في الإجابة، كريم في العطاء، فقد استجاب لدعاء إبراهيم وسؤاله الذي سأله بإذن من الله تعالى: (وَمِنْ ذُرِّيَّتِي)؟ فجاءه الجواب من الله سبحانه: (لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) وقد استجاب الله لإبراهيم دعاءه وجعلت الإمامة مستمرة في ذريته ضمن شرط لا يمكن للإرادة الإلهية أن تتجاوزه وهو شرط العدالة التامة، فالإمامة في ذرية إبراهيم اشترطت بالعدالة التامة التي تبلغ حد العصمة، فجاء الجواب الإلهي نافياً للإمامة عن الظالمين من ذرية إبراهيم فكان دالاً بالدلالة الإلزامية على ثبوت الإمامة في غير الظالمين من ذريته وأن الدعاء استجيب له في ذريته الصالحين.

ولعل من يشكك ويقول من أين عرفنا أن دعاء إبراهيم (عليه السلام) استجيب له وأن الله جعل الإمامة في ذريته بالفعل، والجواب على ذلك في آيات كثيرة في القرآن الكريم دلت بوضوح على أن الله قد جعل الإمامة في ذرية إبراهيم استجابة لدعائه، قال تعالى:

(وَجَعَلْنَاهُ وَلَوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ \* وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ \* وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ) (١٢٢).

(١٢٠) البقرة: ٢٠١ .

(١٢١) البقرة: ١٢٤ .

(١٢٢) الأنبياء: ٧١ - ٧٣ .

فهذه النافلة وهي هذه الذرية الطيبة جعلهم الله أئمة استجابة لدعائه: (وَمِنْ ذُرِّيَّتِي)  
فقد جاءت الآية تؤكد هذه الاستجابة بقوله تعالى:

(وَجَعَلْنَاهُمْ أئمةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا)

٣- ومنها قوله تعالى:

(أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا) (١٢٣).

كما دلت هذه الآية أيضاً على أن الله سبحانه قد استجاب دعاء إبراهيم فأتى آل إبراهيم ملكاً عظيماً وهي «الإمامة» زائداً على ما آتاهم من الكتاب والحكمة وهي «النبوة».

٤ - ومنها قوله تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَعَالِ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ\* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (١٢٤).

نجد في هذه الآية الكريمة إشارة إلى نوعين من الاصطفاء الإلهي :

الأول: الاصطفاء الفردي: وهو اصطفاء آدم ونوح...

الثاني: الاصطفاء الأسري (العائلي): وهو اصطفاء آل إبراهيم وآل عمران، وآل عمران بعض آل إبراهيم، فهو من عطف الخاص على العام ويدلّ على أنّ هذا الاصطفاء الأسري أيضاً تمّ ضمن مرحلتين:  
الأولى: اصطفاء آل إبراهيم.

الثانية: اصطفاء آل عمران من مجموع آل إبراهيم، ومن هنا جاءت الآيات اللاحقة لتوضّح اصطفاء آل عمران قائلة:

(إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ\* إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) (١٢٥).

(١٢٣) النساء: ٥٤ .

(١٢٤) آل عمران: ٣٣ - ٣٤ .

(١٢٥) آل عمران: ٣٥ - ٤٥ .



فهناك اصطفاء ضمن اصطفاء، اصطفاء آل إبراهيم واصطفاء آل عمران خاصة من مجموع آل إبراهيم، وإذا ضمنا هذه الآيات إلى الآية الكريمة التي سأل فيها إبراهيم ربّه أن يجعل الإمامة في ذريته: (وَمَنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)<sup>(١٢٦)</sup>، نفهم من مجموع ذلك أنّ الله تعالى قد استجاب لإبراهيم دعاءه فجعل الإمامة في ذريته على أساس الكفاءات والمؤهلات التي جاء التعبير عنها هنا بالاصطفاء، فليست الإمامة في ذرية إبراهيم لمجرد أنهم ذريته، بل لتوفر المواصفات والمؤهلات القيادة التي بوّأتهم منزلة الاصطفاء الإلهي، فلا ينال العهد الإلهي الظالمين من ذرية إبراهيم، كما لا ينال غير الظالمين منهم إلا على أساس الاصطفاء، ولذلك فقد نال الإمامة آل عمران من كلّ آل إبراهيم، لتوفر الكفاءة والأهلية الربّانية في هذا البطن خاصة من آل إبراهيم، كما حصل هذا الاصطفاء الخاصّ لآل محمّد (عليهم السلام) ضمن مجموعة آل إبراهيم:

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)<sup>(١٢٧)</sup> .

ثمّ أنّ هذا الاصطفاء الأسري إنّما هو اصطفاء قائم على أساس المؤهلات والكفاءات وليس على مجرد النسب، ولهذا جاءت الآية تؤكد ذلك قائلة: (ذُرِّيَّةَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ)<sup>(١٢٨)</sup> فإنّ هذه البعضية ليست بعضيّة نسبيّة ; بل هي بعضيّة رساليّة، أي أنّ الذرية التي ينالها الاصطفاء إنّما ينالها ذلك لأنها تمثل القيم والمثل التي كان يمثلها مؤسس الأسرة وزعيمها.

ومما يؤكّد أن البعضية في هذه الآية هي بعضيّة رسالية وليست بعضيّة في النسب، قوله تعالى لنوح (عليه السلام) حين خاطب ربّه قائلاً:

(... رَبِّ إِنِّي ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ\* قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ...)<sup>(١٢٩)</sup> .

فإنّ المفهوم من هذه الآية أنّ الأهل في منطق القرآن الكريم هو المنسجم روحياً مع زعيم الأسرة النبوّة وليس كلّ منتسب إلى الأسرة النبوّة نسبياً يعدّ من أهل النبيّ الذي أرسله الله لهداية الناس، وكذلك الأمر في الذرية التي ينالها الاصطفاء، فإنّ

(١٢٦) البقرة: ١٢٤ .

(١٢٧) الأحزاب: ٣٣ .

(١٢٨) آل عمران: ٣٤ .

(١٢٩) هود: ٤٥ - ٤٦ .

الذرية المصطفاة هي الذرية التي تعدّ بعضاً من شخصية النبي صاحب الذرية تلك الشخصية التي تمخضت في طاعة الله سبحانه وخضعت لإرادته خضوعاً تاماً عبّر عنه في لغة القرآن الكريم بالإسلام، ومن هنا نجد التأكيد القرآني على أن الإسلام كان عهداً يتناقله ذرية إبراهيم جيلاً بعد جيل، قال سبحانه وتعالى:

(وَمَنْ يَرْغُبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ \* إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ \* وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ \* أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (١٣٠).

والذي تدلّ عليه هذه الآيات بوضوح أن الإمامة الإلهية القائمة على أساس الاصطفاء الإلهي مستمرة في ذرية إبراهيم على مدى الأجيال فإنّ قوله تعالى: (وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنْتُلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)، وكذلك قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى... وَالْإِبْرَاهِيمَ)، وقوله تعالى: (وَأَتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا)، كلّ هذه الآيات وغيرها تدلّ على استمرارية الاصطفاء الإلهي في آل إبراهيم وأنّ العصور المختلفة شهدت اصطفاءات خاصة ضمن آل إبراهيم كان آخرها اصطفاء آل محمد (عليهم السلام)، وهذا ما سوف نعود إلى البحث عنه بالمناسبة في ما يأتي من حديث.

٥ - ومنها قوله تعالى:

(أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَأَتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا) (١٣١).

فالآية تدلّ على أن الله سبحانه قد أتى آل إبراهيم زائداً على النبوة المتمثلة في الكتاب والحكمة، ملكاً عظيماً، والملك هو السلطة والحكم فالمقصود به الإمامة الإلهية كما هو واضح.

ثم إنّ من الجدير لفت النظر إلى قوله تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ) فمن هم هؤلاء الناس المحسودون الذين ذكرت الآية أن الله قد آتاهم من فضله أي آتاهم فضيلة زائدة على ما أتى الآخرين؟ واضح من سياق الآية أن هؤلاء المحسودين أناس من المؤمنين الذين كانوا آنذاك مع رسول الله، وأنهم من آل إبراهيم، لأنّ الآية فسّرت

(١٣٠) البقرة: ١٣٠ - ١٣٣.

(١٣١) النساء: ٥٤.

الفضل الذي آتاه الله هؤلاء المؤمنين المحسودين بما آتى الله آل إبراهيم من الكتاب والحكمة والملك العظيم.

وواضح من سياق الآية ومما يعضدها من آيات القرآن الكريم أنّ هؤلاء المحسودين هم آل محمد (عليهم السلام) وقد ورد في الأحاديث الكثيرة عن أئمة أهل البيت التصريح بأنّ المقصود بالمحسودين في هذه الآية هم الأئمة من آل محمد، فقد روى الكليني في الكافي بسنده عن الإمام محمد بن عليّ الباقر (عليهما السلام) في تفسير الآية: (أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ) - يعني الإمامة والخلافة - إلى قوله تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) نحن الناس المحسودون على ما آتانا الله من الإمامة دون خلق الله أجمعين<sup>(١٣٢)</sup> ، ويكفي دلالة على صحّة هذا التفسير أن الآيات تنتقل حدثاً حياً واقعياً معاصراً وتشير إلى أن هنالك جماعة معاصرين لنزول الآية يحسدون أناساً آخرين من المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله وهؤلاء المحسودون تربطهم بآل إبراهيم صلة، وهي أنّهم من آل إبراهيم ومن هنا ردّ القرآن الكريم على هؤلاء الحاسدين الناقمين على آل محمد ما آتاهم الله من الفضل والرافضين لهذا الاختيار الإلهي، بأنّ الله قد سبق أن جعل هذا الفضل في آل إبراهيم وقد آمن هؤلاء الحاسدون بالفضل لآل إبراهيم وسلّموا له فما بالهم ينكرون لآل محمد هذا الفضل وينقمون عليهم بذلك.

ثم إنّ القرآن الكريم - كما أشرنا - يؤكّد على أنّ الإمامة إنّما جعلت في آل إبراهيم واستمرت فيهم للمؤهلات والكفاءات الربّانية القيادية التي توفرت في هذه الذريّة، وأنّ الإمامة مختصة بذوي الكفاءات الربّانية من آل إبراهيم، ولا تعمّ ذريّة إبراهيم أجمعين.

كما أن الآيات الكريمة في القرآن تشير إلى حقيقة أخرى وهي أنّ الإمامة قد تُسلب عن بعض ذريّة إبراهيم وتنتقل إلى غيرهم من ذريّة إبراهيم، عندما تفقد المجموعة الأولى صلاحياتها وكفاءاتها على مدى الزمن وهذا ما تشير إليه الآيات القرآنية في صياغة عامّة أحياناً كقوله تعالى: (تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ)<sup>(١٣٣)</sup>، وفي صياغة خاصّة محدّدة أحياناً أخرى كما جاء في قوله تعالى:

(١٣٢) أصول الكافي، باب أن الأئمة (عليهم السلام) ولاة الأمر وهم المحسودون الذين ذكرهم الله عزّ وجلّ: ٣٩٥/١ .  
(١٣٣) آل عمران: ٢٦ .

(أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا\* فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ) (١٣٤) .

وقال تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرَهُمْ بآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ...) (١٣٥)

ففي هاتين الآيتين وآيات أخرى يؤكد القرآن العظيم على أن الإمامة والتفضيل الذي أنعم الله به على ذرية إبراهيم من إسحاق ويعقوب قد انتزعه الله عنهم لما آلا إليه من الضلال والزيف والكفر والظلم، فحلت محل ذلك التفضيل اللعنة الإلهية: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ) (١٣٦) و(وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبِ اللَّهِ) (١٣٧) .

وهكذا انتزعت الإمامة من ذرية إسحاق من آل إبراهيم، وانتقلت إلى الطاهرين من بقية آل إبراهيم من إسماعيل، وهم آل محمد (عليهم السلام) . ونجد في قوله تعالى:

(إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا...) (١٣٨) .

تلميحاً إلى ما ذكرناه من أن انتقال الإمامة الإلهية إلى ذرية إبراهيم لم تكن إلا على أساس استمرار الكفاءة والصلاحية الربانية في هذه الذرية، فإن هذه الآية تؤكد أن أولى الناس بإبراهيم وأقربهم إليه، وألصقهم به في شخصيته الإلهية هم الذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا، وإذا تأملنا في التعبير القرآني (الَّذِينَ آمَنُوا) وتابعنا مواطن استعماله في القرآن الكريم وجدنا أنه التعبير الذي يستخدمه القرآن الكريم كثيراً للتدليل على أناس خاصين من المؤمنين، وهم أولئك الذين بلغ فيهم كمال الإيمان الدرجة التي بواهم منزلة الإمامة لسائر المؤمنين، فاختارهم الله قادة للمؤمنين بعد رسول الله ودلّ عليهم في كتابه الكريم بأوصافهم، فكانوا النماذج الكاملة للمؤمنين والقادة السامية التي أمر الله بالافتداء بها بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهذا ما نجده في مثل الآية ٥٥ من سورة المائدة إذ يقول تعالى:

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) .

(١٣٤) مريم: ٥٨ - ٥٩ .

(١٣٥) النساء: ١٥٥ .

(١٣٦) المائدة: ١٣ .

(١٣٧) البقرة: ٦١ .

(١٣٨) آل عمران: ٦٨ .

وكذلك قوله تعالى في الآية ١٦ من سورة التوبة:

(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَةً) .

وغير ذلك من الآيات.

**الصيغة الثالثة:** الآيات التي نصّت على إمامة الأئمة من أهل بيت رسول الله(صلى الله عليه وآله) بالإشارة والوصف، وقد أشرنا سابقاً إلى أنّ الحكمة الإلهية في الحفاظ على القرآن الكريم اقتضت اعتماد القرآن الكريم في النصّ على الأئمة بعد رسول الله أسلوب الإشارة والوصف دون التسمية، لأنّ التسمية كانت تؤدي لا محالة إلى أن تمتد الأيدي الآثمة الطامعة في السلطة والحكم إلى القرآن الكريم فتحرف آياته، أو تحول دون انتشارها بين المسلمين كما حصل بالفعل بالنسبة إلى سنة رسول الله(صلى الله عليه وآله) فقد كثر فيها التصريح بالاسم وتعيين الأئمة من أهل البيت بأسمائهم ممّا أثار حفيظة أعدائهم فبدأوا ومنذ عصر رسول الله يمنعون من كتابة الحديث عن رسول الله(صلى الله عليه وآله)، فقد روى أبو داود والدارمي في سننهما وكذا أحمد بن حنبل في مسنده وغيرهم في غيرها عن عبدالله بن عمرو بن العاص، قال: كنت أكتب كلّ شيء أسمعه من رسول الله فنهتني قريش وقالوا: تكتب كلّ شيء سمعته من رسول الله ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله فأوماً بأصبعه إلى فيه وقال: «أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلّا حق» (١٣٩) .

وروى البخاري في صحيحه وكذا مسلم وغيرهما: لما حضر النبي(صلى الله عليه وآله) الوفاة، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال(صلى الله عليه وآله): «هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده» قال عمر: إن النبي غلبه الوجد وعندكم كتاب الله، فحسبنا كتاب الله، واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول ما قاله عمر، فلمّا أكثروا اللغط والاختلاف، قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): «قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع» (١٤٠) .

(١٣٩) سنن الدارمي: ١٢٥/١ باب من رخص في الكتابة من المقمّة، سنن أبي داود: ١٢٦/٢ باب كتابة العلم، ومسند أحمد: ١٦٢/٢ .

(١٤٠) البخاري، كتاب العلم، باب العلم: ٢٢/١، وكتاب المرض، باب قول المريض قوموا عني، وصحيح مسلم آخر كتاب الوصية.

وروى الذهبي في تذكرة الحفاظ: «أنَّ أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيِّهم فقال: إنَّكم تحدِّثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشدَّ اختلافًا، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً، فمَن سألكم فقولوا بيننا كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرِّموا حرامه»<sup>(١٤١)</sup>. وقد فعل نظير ذلك عمر وعثمان في عهديهما<sup>(١٤٢)</sup>، وحينما استولى بنو أمية على الحكم لم يقفوا عند هذا الحدِّ بل أكثروا من وضع الحديث على لسان رسول الله من جهة وتناوشوا الأئمة من أهل بيت رسول الله وذريَّته بالقتل والتشريد والإبادة من جهة أخرى، حتى استأصلوا ذريَّة رسول الله في واقعة الطف ب كربلاء، ولم يمتز على وفاة الرسول أكثر من نصف قرن، فلهذا السبب الواضح اختارت الحكمة الإلهية في النصِّ على إمامة الأئمة من أهل بيت رسول الله أسلوب الدلالة بالإشارة والوصف. وفيما يلي بعض الآيات التي نصَّت على إمامة أهل البيت (عليهم السلام) :

#### ١ - آية الولاية

وهي قوله تعالى:

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)<sup>(١٤٣)</sup>.

أخرج الإمام الثعلبي في تفسيره بإسناده عن أبي ذر الغفاري قال: أما إنِّي صليت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوماً من الأيام الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً فرفع السائل يديه إلى السماء وقال: اللهم اشهد إنِّي سألت في مسجد نبيِّك محمد (صلى الله عليه وآله) فلم يعطني أحد شيئاً، وكان عليّ (رضي الله عنه) في الصلاة راكعاً فأومأ إليه بخنصره اليمنى وفيه خاتم فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره وذلك بمرأى من النبي (صلى الله عليه وآله) وهو في المسجد فرفع رسول الله (صلى الله عليه وآله) طرفه إلى السماء وقال:

«اللَّهُمَّ إِنَّ أَخِي مُوسَى سَأَلَكَ فَقَالَ: (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي \* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي \* وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي \* يَقْفَهُوا قَوْلِي \* وَاجْعَلْ لِي وَزيراً مِّنْ أَهْلِي \* هَارُونَ أَخِي \* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي \*

(١٤١) تذكرة الحفاظ للذهبي في ترجمة أبي بكر: ٢/١.

(١٤٢) راجع كتاب معالم المدرستين: ٥٠/٢ فما بعدها.

(١٤٣) المائدة: ٥٥.

وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي<sup>(١٤٤)</sup> فَأَنْزَلْتُ عَلَيْهِ قُرْآنًا: (سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا)<sup>(١٤٥)</sup> اللَّهُمَّ وَإِنِّي مُحَمَّدٌ نَبِيُّكَ وَصَفِيكَ، اللَّهُمَّ وَاشْرَحْ صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي عَلِيًّا أَشَدَّ بِهِ ظَهْرِي» .

قال أبو ذر (رضي الله عنه): فما استتم دعاءه حتى نزل جبرئيل (عليه السلام) من عند الله عز وجل، وقال:

يا محمد اقرأ: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)<sup>(١٤٦)</sup> .

وقد اتفق المفسرون عامة على نزول هذه الآية في علي بن أبي طالب، ودلالاتها على الإمامة واضحة لا لبس فيها، والحصص الوارد في الآية: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا...) يلغي كل احتمال آخر في معنى الولاية غير معنى السلطة والحكم، فإن أي معنى آخر من معاني الولاية لا يتصور كونه خاصاً بالله ورسوله وعلي أمير المؤمنين.

## ٢ - آية التطهير

وهي نص على إمامة الأئمة من أهل البيت وكان الحاضرون منهم في عصر نزول الآية هم علي والحسن والحسين، قال تعالى:

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)<sup>(١٤٧)</sup> .

تدل الآية على طهارة أهل البيت من الرجس كله، والرجس معناه القدر ومعصية الله سبحانه صغيرة كانت أم كبيرة، وكل قذارة ينبغي اجتنابها فهي رجس، هذا هو المتيقن من معنى الرجس بحسب اللغة فقد قال ابن منظور: الرجس: القدر وكل قدر رجس وكذلك في الاستعمالات القرآنية فقد قال تعالى:

(إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ)<sup>(١٤٨)</sup> .

(١٤٤) طه: ٢٥ - ٣٢ .

(١٤٥) القصص: ٣٥ .

(١٤٦) روى هذا الحديث عامة المفسرين، راجع الطبري، وأسباب النزول للواحدي، والتفسير الكبير للإمام فخر الدين

الرازي، وللتفصيل راجع كتاب الغدير: ٥٢/٢ - ٥٣ .

(١٤٧) الأحزاب: ٣٣ .

(١٤٨) المائدة: ٩٠ .

وقال تعالى:

(وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ) (١٤٩).

وقال تعالى:

(إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُ أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ) (١٥٠).

وخلاصة الأمر أنّ المتيقّن من معنى الرجس أنه كلّ ما ينبغي الاجتناب منه، ولا شك أنّ معصية الله صغيرة كانت أم كبيرة هي ممّا ينبغي الاجتناب عنه، فيكون معنى تطهيرهم عن الرجس إنّهم مطهرون من الذنوب كلّها صغيرها وكبيرها. وقد اتّفقت كلمة المسلمين وتواترت الروايات الصحيحة أنّ الآية نزلت بشأن رسول الله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين.

فقد روى مسلم في صحيحه في باب فضائل أهل بيت النبيّ، والترمذي في سننه وغيرهما أن سبب نزولها كان بشأن هؤلاء (١٥١)، ولا تشمل نساء النبي فقد ورد في الصحيح المتواتر عن أمّ سلمة قالت: نزلت هذه الآية في بيتي (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ...)، وفي البيت سبعة: جبرائيل وميكائيل وعليّ وفاطمة والحسن والحسين وأنا على باب البيت فقلت: يا رسول الله! أأنت من أهل البيت؟ قال: «إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ، إِنَّكَ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ» (١٥٢).

أما دلالتها على إمامة أهل البيت، فلما دلّت عليه آية (لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) من اشتراط العصمة في الإمام، والعصمة لا تعرف إلا من الله، ولم يدلّ دليل من الله على عصمة غير هؤلاء، وقد دلّت هذه الآية على عصمتهم فتدلّ على إمامتهم. هذا كلّهُ بالإضافة إلى ما ذكرناه سابقاً حول آية (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (١٥٣)، من أنّ الأمر في (أَطِيعُوا) بطاعة الرسول وطاعة أولي الأمر جاءت بصيغة واحدة، فإنّ (أَطِيعُوا اللَّهَ) أمر مستقل، و(أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) جاء ضمن أمر آخر، وهذا يعني أنّ نفس وجوب الطاعة الثابت لرسول الله ثابت لأولي الأمر، وطاعة الرسول واجبة وجوباً مطلقاً لا حدود له بنصّ من القرآن الكريم:

(١٤٩) التوبة: ١٢٥.

(١٥٠) الأنعام: ١٤٥.

(١٥١) راجع للتفصيل: كتاب معالم المدرستين: ٣٦٢/١ وما بعدها (باب عصمة أهل البيت).

(١٥٢) مسند أحمد: ٣٠٦/٦.

(١٥٣) النساء: ٥٩.



(مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) (١٥٤) .

(فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (١٥٥) .

(وَمَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) (١٥٦) .

وغيرها من الآيات الكثيرة التي تنصّ على أنّ كلّ ما يقوله الرسول إنّما هو وحي يجب إمتثاله على كلّ مؤمن لأنه:

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) (١٥٧)

فأطيعوا الرسول يعني أطيعوه في كلّ صغيرة وكبيرة وفي كلّ أمر وهذا النحو من الطاعة لا يمكن أن يكون إلاّ للمعصوم الذي لا يضلّ ولا يخطئ فتكون الآية (وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) دالة على وجوب أن يكون أولو الأمر معصومين مطهّرين من الرّجس تطهيراً. ولم يقدّم دليل على عصمة غير أهل البيت المذكورين، وقد دلّت آية التطهير على عصمتهم وطهارتهم من الرّجس، فلا ريب أن يكونوا هم أولى الأمر الذين أوجب الله طاعتهم ونهى عن مخالفتهم.

(١٥٤) الحشر: ٧ .

(١٥٥) النور: ٦٣ .

(١٥٦) النساء: ٨٠ .

(١٥٧) النجم: ٣ - ٤ .

### ٣ - آية القربى

وهي من الآيات التي تدلّ على إمامة أهل البيت بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (١٥٨) تفيد هذه الآية أنّ مودة ذوي قربي الرسول (صلى الله عليه وآله) واجبة وأنّ الله سبحانه جعلها أجراً لرسالة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكونها أجراً لرسالة الرسول يدلّ على أنها تعادل في أهميتها وقدرتها ومنزلتها أصل رسالة الرسول (صلى الله عليه وآله) فإنّ أجر العمل لا بدّ أن يكون معادلاً للعمل في القيمة والاستحقاق، وإلا لم يكن أجراً عادلاً وحاشا لله سبحانه وتعالى أن يعيّن لأهم الأشياء في الكون وهو رسالة النبيّ الخاتم أجراً غير عادل، وإذا تأملنا آيات أخرى من القرآن استطعنا أن نفهم حقيقة المراد من هذا الأجر، قال سبحانه:

(قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا) (١٥٩)

ففي هذه الآية تصريح بأنّ الأجر الذي جعله الله سبحانه على رسالة نبيّه ليس إلا سبيلاً إلى الله تعالى ونجد في آية أخرى وصف القرآن بأنه سبيل إلى الله إذ يقول تعالى:

(إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا) (١٦٠) .

فقد جعل القرآن ذوي قربي الرسول عدلاً للقرآن الكريم فكلاهما سبيل إلى الله سبحانه كما أنّ الرسول سبيل إلى الله سبحانه:

(وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيِّنُنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا \* يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا \* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا) (١٦١) .

ومما يلفت النظر في هذه الآيات الأخيرة، أنّها دلّت على أنّ الخلّة والمودة هي التي تعيّن السبيل الذي يتّخذه الإنسان فإنّ الآيات تحكي حسرة الظالم وندامته على عدم اتّخاذ السبيل مع رسول الله، وعبرت عن ذلك باتّخاذ غيره خليلاً، فخلّة غير الرسول تعني هنا اتّخاذ هذا الغير قائداً وإماماً، فدلّت على أنّ الخلّة والمودة تعني التبعية والافتداء، فلا نهاية لحسرة الظالم يوم القيامة على اقتدائه بغير الرسول

(١٥٨) الشورى: ٢٣ .

(١٥٩) الفرقان: ٥٧ .

(١٦٠) المزمل: ١٩ .

(١٦١) الفرقان: ٢٧ - ٢٩ .

واتخاذهم خليلاً وسبيلاً. ومهما يكن من أمر فإن آيات القرآن لا تترك مجالاً للشك والريب في أن المقصود بمودة ذي القربى هي اتخاذهم سبيلاً إلى الله أي الاقتداء بهم والحثو حذوهم واتخاذهم أئمة مطاعين في ما يأمرون وينهون، شأنهم شأن رسول الله في وجوب الطاعة والاقتداء.

ومما يعين المتدبر على فهم مراد القرآن في آية القربى، الآية التي نزلت بشأن النص على إمامة علي يوم الغدير، قال سبحانه وتعالى:

(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) (١٦٢).

وقد تواترت الأحاديث الصحيحة بشأن نزولها يوم غدير خم تأمر رسول الله بإبلاغ إمامة علي (عليه السلام) في ملأ المسلمين - وسوف نأتي إلى ذكر هذه الآية والحديث عنها بعد قليل - فإتينا نجد في هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى جعل إبلاغ إمامة علي (عليه السلام) مساوياً لإبلاغ رسالة الله كلها، إذ أكدت الآية أن الرسول إن لم يبلغ إمامة علي فإنه لم يبلغ رسالة الله سبحانه وتعالى، كما وجدنا في آية مودة القربى وآية السبيل أن مودة القربى جعلت أجراً لرسالة الرسول معادلاً لها وجعلت سبيلاً إلى الله سبحانه، فكانت مودتهم والسبيل إلى الله أمراً واحداً كما أن مودة فلان - وهو غيرهم - كانت إعراضاً عن سبيل الله والرسول وموجبة لحسرة الظالم يوم القيامة وأسفه الذي لا يكاد يجديه.

ثم إن المقصود بالقربى حسب الروايات الصحيحة المتواترة بين المسلمين واتفق كلمة أهل العلم منهم، علي وفاطمة والحسن والحسين، قال الأميني في الغدير: أخرج أحمد في المناقب، وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والواحدي والثعلبي وأبو نعيم والبغوي في تفسيره، وابن المغازلي في المناقب بأسانيدهم عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ فقال: «علي وفاطمة وابناهما» (١٦٣).

ثم إن مما تجدر الإشارة إليه هو أن هذا الأجر ليس من قبيل الأجر الذي يأخذه الناس فيما تعارف بينهم على ما يقدمونه من خدمة لغيرهم، بل هو أجر بمعنى الثمرة والنتيجة، فإن أجر الزارع الذي يزرع الأرض، والفلاح الذي يسقي الشجرة

(١٦٢) المائدة: ٦٧.

(١٦٣) راجع للتفصيل كتاب الغدير: ٣٠٦/٢ وما بعدها.

ويرعاها، إنما هو الثمرة التي يؤتيها ذلك الزرع أو التي تؤتيها الشجرة، والنتيجة المرجوة من كل عمل وجهد هو الأجر الحقيقي الذي ينال العامل من جهده، فالأجر الذي ذكرت الآية إنما هو أجر بهذا المعنى كما يدل عليه معنى السبيل، فحاصل المراد من آية القربى: أن أجر الرسالة هو أن يستجيب المؤمنون لدعوة الرسول (صلى الله عليه وآله) في اتباع سبيل الله سبحانه والثبات عليه باتباعهم لأهل بيته بعده واطاعتهم لهم ولكي تثمر جهود رسول الله بقيام العدل في وجه البسيطة كلها وانتشار الهدى الإلهي في عامة الأرض وتحقق وعد الله سبحانه إذ قال:

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ) (١٦٤).

وقوله تعالى:

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) (١٦٥).

وقوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (١٦٦).

هذا كله من نتائج جهود رسول الله في الحياة الدنيا وأما في الآخرة:

(وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا \* ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا) (١٦٧).

ولكون هذا الأجر أجراً يعود إلى المؤمنين أنفسهم لا إلى الرسول بشخصه فقد أكد القرآن العظيم أن هذا ليس أجراً من ذلك النوع الذي ألفه الناس بينهم والذي يعود نفعه إلى العامل الأجبر فجاءت الآية لتنفى أن يتخذ الرسول أجراً على رسالته من هذا النوع من الأجر فقال سبحانه وتعالى:

(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا نِكْرَىٰ لِّلْعَالَمِينَ) (١٦٨).

وقال سبحانه وتعالى مفسراً وموضحاً هذا الأجر الذي أبى رسول الله أن يسألهم

إياه: (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِّن مَّعْرَمٍ مَُّتَقَلُونَ) (١٦٩).

(١٦٤) النور: ٥٥.

(١٦٥) الأعراف: ٩٦.

(١٦٦) التوبة: ٣٣.

(١٦٧) النساء: ٦٩ - ٧٠.

(١٦٨) الأنعام: ٩٠.



#### ٤ - آية التبليغ

قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) (١٧٠).

دلّت الآية على نزول الأمر من الله على رسوله بتبليغ إمامة عليّ بعده، ونصّ الآية شاهد على نزولها في أمر الإمامة، لأنّ الآية نزلت في أواخر حياة الرسول في حجة الوداع، بعد أن كان رسول الله قد أكمل تبليغ دين الله وشرائعه ولم يبقَ من واجبات الشريعة وأحكامها إلاّ وقد بيّنه رسول الله، ولم يبقَ إلاّ أمر الإمامة التي كان قد بلغها سابقاً في مناسبات خاصّة لم يشهد لها عامّة المسلمين، فنزل الأمر الإلهي بوجوب تبليغ الإمامة على ملأ العامّة من المسلمين، ومن القرينة الواضحة على نزولها بشأن الإمامة التأكيد الإلهي على أنه (إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ) ممّا يدلّ على أنّ أهمية هذا الأمر الذي وجب تبليغه تعادل أهمية الرسالة بكاملها، لأنّ فيه ضماناً لتحقيق أهداف الرسالة، ولولاها لما تحقّقت أهداف الرسالة وغاياتها ومن أهمّها إقرار العدل على وجه البسيطة كلّها.

وقد وردت الروايات المتواترة الصحيحة على نزولها يوم الغدير بشأن إمامة عليّ (عليه السلام). تفصيلها في كتاب (الغدير للعلامة الأميني الجزء الأول الصفحة ٢١٤ وما بعدها)، ومن ذلك ما رواه السيوطي في الدر المنثور<sup>(١٧١)</sup> وغيره في غيره عن ابن مسعود قال: «كُنَّا نَقْرَأُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ - أَنْ عَلِيًّا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ - وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)»، روى الحافظ أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري بإسناده في كتاب الولاية في طريق حديث الغدير عن زيد بن أرقم قال: «لما نزل النبي (صلى الله عليه وآله) بغدير خم من حجة الوداع وكان وقت الضحى وحرّ شديد أمر بالدّوحات فقمّت، ونادى الصلاة جامعة، فاجتمعنا فخطب خطبة بالغة ثم قال:

«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ إِلَيَّ (بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)، وقد أمرني جبرئيل عن ربّي أن أقوم في هذا المشهد، وأعلم كلّ أبيض

(١٧٠) المائدة: ٦٧.

(١٧١) الدر المنثور: ٣٩٨/٢.

وأسود: إنّ عليّ بن أبي طالب أخي ووصيّ وخليفتي والإمام بعدي - إلى أن قال: معاشر الناس! ذلك، فإنّ الله قد نصبه لكم ولياً وإماماً، وفرض طاعته على كلّ أحد، فمأض حكمه وجائز قوله، وملعون من خالفه، مرحوم من صدّقه، اسمعوا وأطيعوا، فإنّ الله مولاكم وعليّ إمامكم ثم الإمامة في ولدي من صلبه إلى يوم القيامة، لا حلال إلا ما أحله الله ورسوله، ولا حرام إلا ما حرّم الله ورسوله وهم - إلى أن قال: افهموا محكم القرآن ولا تتّبّعوا متشابهه، ولن يفسّر ذلك لكم إلا من أنا أخذ بيده، وشائل بعضده، ومعلمكم: أنّ من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، وموالاته من الله عزّ وجلّ أنزلها عليّ، ألا وقد أدّيت، ألا وقد بلغت، ألا وقد أسمعت، ألا وقد أوضحت، لا تحلّ إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره.

ثم رفعه إلى السماء حتى صارت رجله مع ركبة النبي (صلى الله عليه وآله) وقال: معاشر الناس! إنّ هذا أخي ووصيّ وواعي علمي وخليفتي على من آمن بي وعلى تفسير كتاب ربّي... الحديث» (١٧٢).

وأخرج أبو إسحاق الثعلبي في تفسير سورة الماعرج من تفسيره الكبير: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما كان يوم غدِير خَمّ نادى الناس فاجتمعوا فأخذ بيد عليّ فقال: «مَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَعَلِيّ مَوْلَاهُ» فشاع ذلك فطار في البلاد وبلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهري فأتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) على ناقّة له فأنّاها ونزل عنها وقال: يا محمّد أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله قبلنا منك، وأمرتنا أن نصليّ خمساً قبلنا منك، وأمرتنا بالزكاة قبلنا، وأمرتنا أن نصوم رمضان قبلنا، وأمرتنا بالحج قبلنا ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمّك تفضّله علينا فقلت من كنت مولاه فعليّ مولاه فهذا شيء منك أم من الله؟ فقال (صلى الله عليه وآله):

«فوالله الذي لا إله إلا هو إنّ هذا لمن الله عزّ وجلّ» فولى الحارث يريد راحلته وهو يقول: اللهمّ إن كان ما يقول محمّد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو إئتنا بعذاب أليم، فما وصل إلى راحلته حتى رماه الله سبحانه بحجر سقط على هامته فخرج من دبره فقتله وأنزل الله تعالى: (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ \* لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ \* مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ) (١٧٣)» (١٧٤).

(١٧٢) راجع كتاب الغدير: ٢١٤/١ - ٢١٦.

(١٧٣) الماعرج: ١ - ٣.

(١٧٤) نقل هذا الحديث عن الثعلبي العلامة الشبلنجي في كتابه (نور الأبصار في أحوال عليّ) ص ٧١، كما ذكره الحلبي في السيرة الحلبيّة الجزء الثالث نهاية صفحة ٢٧٤ ضمن أخبار حجّة الوداع.

## ٥ - آيات الشهادة

وهي الآيات التي دلت على أن الله تعالى في كل عصر قادة شهداء على كتاب الله وعلى المؤمنين جعلهم الله أئمة للناس يحكمون بينهم بما أنزل الله، كما ودلت على أن الرسول شاهد على أمته وأنّ هناك شهداء على المسلمين بعد رسول الله، وصفهم القرآن بأنهم من رسول الله وأنهم يخلفون رسول الله في الشهادة على المؤمنين، وقد دلّ القرآن كما دلت السنة القطعية على أن هؤلاء الشهداء الذين هم من رسول الله إنما هم عليّ (عليه السلام) وأولاده الطاهرون. وسوف نوضح ذلك بايجاز ضمن النقاط التالية:

### أ - لله في كل أمة شهيد

أكدت آيات كثيرة من القرآن على أن لله في كل أمة شهيداً على الناس منهم، وأنّ هذه سنة إلهية مستمرة في كل زمان.

قال تعالى: (وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) (١٧٥).

وقال تعالى:

(وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ) (١٧٦).

بل وأن شهادة الشهداء ليست شهادة على الأمم فحسب، بل هي أيضاً شهادة على جميع أفراد الناس. فقد قال تعالى: (وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ) (١٧٧).

### ب - مواصفات الشهداء

جاءت في القرآن الكريم آيات كثيرة تحدّد مواصفات هؤلاء الشهداء:

فمنها: المعاصرة، فإنّ كلّ شهيد معاصر مع من يشهد عليهم، فلكلّ أمة من الناس شهيد عليهم معاصر لهم، قال تعالى عن لسان عيسى على نبينا وآله وعليه السلام:

(وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ) (١٧٨).

(١٧٥) النحل: ٨٤.

(١٧٦) النحل: ٨٩.

(١٧٧) سورة ق: ٢١.

(١٧٨) المائدة: ١١٧.



ومنها: أنهم حجج الله على خلقه بهم يحتج على الناس، أي أن الله سبحانه جعلهم الميزان الذي به يُقاس صلاح الناس وفسادهم، وطاعتهم لله وعصيانهم، ومن أجل ذلك فهم شهداء على الكتاب أيضاً، أي أن الكتاب متمثل فيهم متجسد في أفكارهم وأعمالهم، فبهم يعرف الكتاب وتفسر آياته وتوضح مفاهيمه.  
يقول سبحانه وتعالى:

(وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ\* وَنَرَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعِلْמוْا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ)(١٧٩) .  
وقال تعالى:

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ)(١٨٠) .

ومنها: أنهم حفظة كتاب الله والعاملون بما أنزل الله فيه، قال تعالى:

(إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً)(١٨١) .  
وقال تعالى:

(قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)(١٨٢) .  
وقال تعالى:

(شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَنَّ لِمَلَائِكَتِهِ وَأُولَئِئِهِمْ...)(١٨٣) .

ومنها: أنهم يحكمون بما أنزل الله كما سبق في الآية الكريمة من سورة المائدة:

(إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً)(١٨٤) .

ومنها: أنهم مؤمنون بالله ورسوله حق الإيمان إيماناً لا يعتريه الشك والترديد، قال تعالى:

(١٧٩) القصص: ٧٤ - ٧٥ .

(١٨٠) هود: ١٨ .

(١٨١) المائدة: ٤٤ .

(١٨٢) الرعد: ٤٣ .

(١٨٣) آل عمران: ١٨ .

(١٨٤) المائدة: ٤٤ .

(وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) (١٨٥).

وقال تعالى:

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) (١٨٦).

### ج - شهادة الرسول على المسلمين في عصر النبوة

لقد وصف القرآن الكريم الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) بالشهيد والشاهد في آيات كثيرة، فقال تعالى:

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) (١٨٧).

وقال تعالى:

(فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) (١٨٨).

### د - الشاهد التالي لرسول الله (صلى الله عليه وآله)

لقد صرح القرآن الكريم أنّ هناك شاهداً على المسلمين يتلو رسول الله فقال سبحانه وتعالى:

(أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) (١٨٩)

ومعنى «يتلوهُ» أي يخلفه، فهذا هو المعنى الظاهر من الكلمة ومعنى خلافته له قيامه مقامه في كلّ شيء ما خلا النبوة التي ختمت به (صلى الله عليه وآله).

ولقد عيّن الله سبحانه هذا الشاهد بالإشارة والوصف فوصفه تارة بأثمة من رسول الله كما في هذه الآية ووصفه تارة أخرى بأنّ عنده علم الكتاب فقال سبحانه:

(قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) (١٩٠).

(١٨٥) الحديد: ١٩.

(١٨٦) الحجرات: ١٥.

(١٨٧) الأحزاب: ٤٥.

(١٨٨) النساء: ٤١.

(١٨٩) هود: ١٧.

(١٩٠) الرعد: ٤٣.

ولا ينطبق هذان الوصفان إلا على أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وفي مقدمتهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) .

أما الوصف الأول، وهو كون الشاهد من رسول الله فإن آية المباهلة تدلّ بوضوح على أنّ أهل بيت رسول الله وهم عليّ وفاطمة والحسن والحسين هم من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقد اتفق المسلمون على أن قوله تعالى:

(فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (١٩١) .

نزلت بشأن الحسن والحسين وفاطمة وعليّ (عليهم السلام)، فقد جاء في الحديث المتواتر، أنّ الرسول أخذ في يوم المباهلة بيد عليّ والحسن والحسين وجعلوا فاطمة وراءهم ثم قال: «هؤلاء أبناؤنا وأنفسنا ونساؤنا فهلّموا أنفسكم وأبناءكم ونساءكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين» (١٩٢) .

وقد ورد في الحديث الصحيح المتواتر أيضاً قوله (صلى الله عليه وآله) : «عليّ منّي وأنا من عليّ لا يؤدّي عني إلا عليّ» (١٩٣) .

كما ورد الخبر المتواتر في قصّة تبليغ آيات البراءة أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) بعث أبا بكر ببراءة ليلبّغها أهل مكة، وألّه لا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنّة إلا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله مدّة فأجله إلى مدّته، والله بريء من المشركين ورسوله، فسار بها أبو بكر ثلاثاً، ثم قال رسول الله لعليّ: إلحقه فردّ عليّ أبا بكر ولبّغها أنت ففعل، فلما قدم أبو بكر على النبيّ بكى أبو بكر وقال: يا رسول الله حدث فيّ شيء؟ قال: «ما حدث فيك إلا خير، ولكني أمرت أن لا يبلغه إلا أنا أو رجل منّي» (١٩٤) .

(١٩١) آل عمران: ٦١ .

(١٩٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عليّ، وصحيح الترمذي: ٢٩٣/٤ الحديث رقم ٣٠٨٥ وغيرهما.

(١٩٣) سنن ابن ماجة في كتاب المقدمة، باب فضائل الصحابة، والترمذي، كتاب المناقب، وفي الكنز، الحديث ٢٥٣١،

ص ١٥٣ ج ١ ط الأولى، ومسند أحمد ص ١٦٤، ١٦٥ ج ٤ .

(١٩٤) مسند أحمد: ٣/١، وسنن الترمذي: ١٦٤/١٣ - ١٦٥، ومستدرک الصحيحين:

وقد جاء أيضاً في الحديث المتواتر عن رسول الله أنه وضع الحسن في حجره وقال: «هذا منّي»<sup>(١٩٥)</sup>، وأنه قال: «حسين منّي وأنا من حسين أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط»<sup>(١٩٦)</sup>.

وأما الوصف الثاني: وهو أنّ الشاهد الذي يتلو رسول الله عنده علم الكتاب فهو أيضاً لا ينطبق على غير عليّ وأولاده الطاهرين فقد ورد في الحديث المتواتر عن رسول الله: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب»<sup>(١٩٧)</sup>.

قال الحاكم: هذا صحيح الإسناد، وقد صحّ عن عليّ قوله: «والله إني لأخوه - أي رسول الله - ووليه وابن عمّه ووارث علمه، فمن أحقّ به منّي؟»<sup>(١٩٨)</sup>.

وقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: «الحمد لله الذي جعل الحكمة فينا أهل البيت»<sup>(١٩٩)</sup>.

كما ورد في الصحيح عن رسول الله قوله: «من سرّه أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن غرسها ربّي، فليوال عليّاً من بعدي وليوال وليّه، وليقتد بأهل بيتي من بعدي، فإنهم عترتي، خلّقوا من طينتي، ورزقوا فهمي وعلمي، فويل للمكذّبين بفضلهم من أمتي القاطعين فيهم صلتني، لا أنالهم الله شفاعتي»<sup>(٢٠٠)</sup>.

وبكفي دلالة على كون أهل البيت وفي مقدمتهم عليّ والحسن والحسين هم العلماء بكتاب الله الوارثون لعلم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما تواتر عن النبيّ: «إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»<sup>(٢٠١)</sup>.

وجاء في نصّ الطبراني في تكملة الحديث: «فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم»<sup>(٢٠٢)</sup>.

(١٩٥) مسند أحمد: ١٣٢/٤.

(١٩٦) صحيح البخاري في الأدب المفرد باب معانقة الصبيّ، الحديث ٣٦٤، والترمذي باب مناقب الحسن والحسين: ١٩٥/١٣.

(١٩٧) مستدرک الصحيحين: ١٢٦/٣.

(١٩٨) المصدر السابق وقد صحّحه الحاكم والذهبي، وأيضاً خصائص النسائي: ١٨.

(١٩٩) أخرجه أحمد بن حنبل في المناقب والطبري في الرياض النضرة: ١٩٤/٢.

(٢٠٠) كنز العمال: ٢١٨/٦ الحديث رقم ٣٨١٩.

(٢٠١) سنن الترمذي: ٣٢٩/٥.

(٢٠٢) كنز العمال: ١٦٨/١.

فالذي نستنتجه من آيات الشهادة ما يلي:

١ - إنّ الرسول هو الشاهد الأوّل على المسلمين كما كان الأنبياء من قبله شهداء على أممهم.

٢ - إنّ الشهادة على المسلمين مستمرة بعد رسول الله وإنّ هناك شهداء يخلفون رسول الله، وهم الذين يحكمون بالكتاب كما قال سبحانه: (يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا - إلى قوله تعالى: بِمَا اسْتُخْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ) (٢٠٣). وهم الذين يتلونه ويخلفونه في الأمر ما عدا النبوة كما قال سبحانه: (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) .

٣ - إنّ الشاهد أو الشهداء بعد رسول الله لديهم علم الكتاب، وهم من رسول الله.

٤ - إنّ عليّاً وولده الذين هم عترة رسول الله وأهل بيته هم الذين ينطبق عليهم الوصفان المذكوران، فإنّهم العلماء بكتاب الله، وهم الذين وصفهم رسول الله بأنهم منه.

هذا بعض ما ورد من آيات الكتاب في إمامة عليّ وأولاده الطاهرين أوردناها على سبيل المثال لا الحصر، فإنّ الآيات التي وردت في إمامة عليّ كثيرة نصّ على نزولها في عليّ المفسّرون، ووردت في تفسيرها الروايات الصحيحة الكثيرة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله). هذا كلّ مع أنّ السلطات الأمويّة والعبّاسيّة ظلت تعاقب من يروي عن رسول الله حديثاً بشأن أهل البيت طوال ما يقرب من أربعة قرون، وقد ألفت موسوعات الحديث عن رسول الله لدى أهل السنّة تحت ظلّ الحكومات الجائرة التي كانت تمنع الحديث عن رسول الله بشأن أهل البيت منعاً باتاً وكانت تعاقب عليه أشدّ العقاب ممّا حال دون انتشار الكثير ممّا ورد عن رسول الله في أهل البيت، هذا ولم تكتفِ الحكومات الأمويّة والعبّاسيّة بمنع الحديث عن رسول الله بشأن أهل البيت وإمامتهم بل وقبّضت بعض ضعفاء الإيمان المتظاهرين بالصّلاح بجعل الأحاديث في فضائل أعداء أهل البيت ونسبتها إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع أنّها تناقض النصّ القرآني والروايات المتواترة الصريحة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

هذا ولم نكن نقصد هنا البحث عمّا ورد من النصّ على إمامة عليّ وأولاده الطاهرين في سنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو بحث مهمّ في نفسه وقد ألف علماءنا

الأبرار كتباً مفصّلة جمعت من حديث رسول الله بهذا الشأن الشيء الكثير، ومن أراد الإطلاع على ذلك، فليطلبه من مظانه.

نسأل الله تعالى أن يثبتنا بالقول الصالح في الحياة الدنيا والآخرة، وأن يتقبّل منّا هذا القليل بأحسن قبول إنّه كريم سميع مجيب.

## مصادر الكتاب

- ١ - أسباب نزول القرآن: أبو الحسن عليّ بن أحمد الواحدي المتوفى (٤٦٨ هـ).
- ٢ - أصول الكافي: محمد بن يعقوب الكليني الرازي المتوفى (٣٢٩ هـ).
- ٣ - بحث حول الولاية: الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر المتوفى (١٤٠٠ هـ).
- ٤ - تذكرة الحفاظ: أبو عبدالله شمس الدين الذهبي المتوفى (٧٤٨ هـ).
- ٥ - تفسير الطبري: أبوجعفر محمّد بن جرير الطبري المتوفى (٣١٠ هـ).
- ٦ - التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): محمّد بن عمر بن الحسين القرشي الطبرستاني المعروف بالفخر الرازي المتوفى (٦٠٦ هـ).
- ٧ - تفسير الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): أحمد بن محمّد بن إبراهيم الثعلبي النسيابوري المتوفى (٤٢٧ أو ٤٣٧ هـ).
- ٨ - تلخيص المستدرک: أبو عبدالله شمس الدين الذهبي المتوفى (٧٤٨ هـ).
- ٩ - جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري): محمد بن جرير الطبري المتوفى (٣١٠ هـ).
- ١٠ - خصائص الإمام أميرالمؤمنين: أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى (٣٠٣ هـ).
- ١١ - الدر المنثور في التفسير المأثور: جلال الدين عبدالرحمن السيوطي المتوفى (٩١١ هـ).

- ١٢ - الرياض النضرة في مناقب العشرة: أحمد بن عبدالله بن محمد محب الدين الطبري المتوفى (٦٩٤ هـ).
- ١٣ - سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن أشعث السجستاني الأزدي المتوفى (٢٧٥ هـ).
- ١٤ - سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد بن ماجه القزويني المتوفى (٢٧٥ هـ).
- ١٥ - سنن الدارمي: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي المتوفى (٢٩٧ هـ).
- ١٦ - السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون): علي بن برهان الدين الحلبي المتوفى (١٠٤٤ هـ).
- ١٧ - شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: عبيدالله بن عبدالله بن أحمد الحنفي النيسابوري المعروف بالحاكم الحسكاني المتوفى (٤٧٠ هـ).
- ١٨ - صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن مغيرة الجعفي البخاري المتوفى (٢٥٦ هـ).
- ١٩ - صحيح الترمذي (الجامع الصحيح) (سنن الترمذي): الترمذي المتوفى (٢٧٥ هـ).
- ٢٠ - صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري المتوفى (٢٦١ هـ).
- ٢١ - المستدرک علی الصحیحین: محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري المتوفى (٤٠٥ هـ).
- ٢٢ - كنز العمال: علي المتقي بن حسام الدين الهندي المتوفى (٩٧٥ هـ).
- ٢٣ - الغدير في الكتاب والسنة والأدب: عبدالحسين الأميني التبريزي المتوفى (١٣٩٠ هـ).
- ٢٤ - لباب النقول في أسباب النزول: جلال الدين السيوطي المتوفى (٩١١ هـ).
- ٢٥ - المسند: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المتوفى (٢٤١ هـ).
- ٢٦ - معالم المدرستين: السيد مرتضى العسكري (معاصر).



٢٧ - مناقب عليّ بن أبي طالب (مناقب ابن المغازلي): عليّ بن محمّد بن محمّد الواسطي الشافعي المعروف بابن المغازلي المتوفى (٤٨٣هـ).

٢٨ - المناقب: أحمد بن محمّد بن حنبل المتوفى الشيباني (٢٤١هـ).

٢٩ - منهاج السنّة: أحمد بن عبدالحليم الحرّاني ابن تيمية المتوفى (٧٢٨هـ).

٣٠ - نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار: مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي المتوفى (١٢٩٨هـ).

## فهرس

- كلمة المجمع ... ٧
- مقدمة الناشر ... ٩
- الإمامة في الإسلام ... ١١
- الإسلام والإمامة ... ١٢
- اختيار الأئمة - حقّ الله وحده ... ١٥
- أطروحة النصّ ... ١٧
- خاتمة... ٢٤
- نظرية النصّ على الإمامة: في القرآن الكريم ... ٢٥
- تمهيد ... ٢٧
- المبحث الأول ... ٣٥
- مفهوم الإمامة في القرآن الكريم ... ٣٧
- مواصفات الإمامة في القرآن الكريم ... ٣٨
- الإمامة وحقيقة التوحيد ... ٤٤
- المبحث الثاني... ٥٧
- الإمامة لا تتمّ إلا بالتعيين الإلهي ... ٥٩
  - ١ - آيات الأمر ... ٦١
  - ٢ - آيات الحكم ... ٦٢
  - ٣ - آيات الملك ... ٦٣
  - ٤ - آيات الولاية ... ٦٩
  - ٥ - آيات الطاعة ... ٧١
  - ٦ - آية الاختيار ... ٧٣
  - ٧ - آية التحكيم ... ٧٧
  - ٨ - آيات الإيتاء ... ٧٩
- المبحث الثالث ... ٨٩

النصّ على الأئمة في القرآن الكريم ... ٩١

١ - آية الولاية... ١١٤

٢ - آية التطهير ... ١١٦

٣ - آية القربى... ١٢٠

٤ - آية التبليغ... ١٢٦

٥ - آيات الشهادة... ١٢٩

أ - لله في كلّ أمة شهيد ... ١٣٠

ب - مواصفات الشهداء... ١٣١

ج - شهادة الرسول على المسلمين في عصر النبوة ... ١٣٣

د - الشاهد التالي لرسول الله(صلى الله عليه وآله) ... ١٣٤

فهرس ... ١٤٥